المعرَّب في القرآن الكريم:
من الجدل العقدي إلى الآثار التواصليَّة الحضاريَّة

د. محمد بودبان
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص:

تعالج هذه المقالة إشكالية المعرَّب في القرآن الكريم؛ وتحاول أن تتجاوز فيها مستوى الخلاف المرتبط بالمعتقدات، سواء منها الموافقة أو المتخالفة مع المسلمين إلى مستوى توضيح أنَّ للمسألةِ إطارُها العادي في التثاقف الحضاري، والتواصل بين الأمم والحضارات؛ لتنتظم مع ما كان قديمًا، وما هو مستمرٌ حديثا، ويبقى ممتدًا ما امتدَّ العمران البشريُّ ولغاتُه.

Abstract:

The current article treat the issue of: "Words introduced in Arabic" wich is a consequence of cultural contact between arabic and many language communities ; those Loanwords are taken from each culture and have been incorporated into Arabic.

When we take the Qur'an as sample; the study will be caracterised by dogmatic controversy ; but realy we could passover that, to the determination of its effects in the field of civilizational relationships.

مقدّمة

إنَّه يمكننا أن نلحظ وبيسرٍ كيف أنَّ الاقتراض اللغويَّ ظاهرةٌ حضاريَّةٌ صحيَّة؛ تتحقَّق من خلالها سنَّة الله الكونيَّة في التعارف البشري؛ وإنَّ كتب المعرَّبات في التراث العربي يُستفاد منها الكثير فيما يتعلَّق بالتفاعل الحضاري بين العرب وبين كثيرٍ من الأمم.

وإنَّما حينما يتعلَّق الأمر بالقرآن الكريم ينتقل الأمر إلى جدلٍ عقيديٍّ متعلِّقٍ بعربية القرآن الكريم؛ بين الإطلاقات اللفظيَّة والأحكام الإيمانيَّة. وقد خاض الكثير من المستشرقين في موضوع أصالة المفردات القرآنيَّة وسحبوا معها المعاني الدِّينية التي تعبِّر عنها في الديانات السابقة على الإسلام؛ وصار للمسألة بعدها الدِّينيُّ العقيديُّ؛ والذي له كذلك آثارُهُ في الصراع بين الشرق والغرب.

وأحاول أنا في هذه المقالة أن أناقش الأمر بشكلٍ هادئ: فأبحث عن وقوع الألفاظ المعرَّبة أو الأعجمية في القرآن الكريم. وأناقش آراءَ علماء المسلمين حولها، وما يترتَّب عنها، مع ذكر مباحث المستشرقين فيما يتعلَّق بذلك. ثمَّ أبيّن أثر ذلك في حدوث التواصل الحضاري بين الأمم من خلال المعرَّب في القرآن الكريم. ويمكننا صياغة الإشكالية المراد حلُّها في التساؤل الآتي: «**كيف لنا الانتقال من الجدل العقيدي المتعلِّق بوجود المعرَّب في القرآن الكريم من عدمه إلى بيان آثاره الإيجابيَّة التي أحدثها في الشعوب المختلفة التي احتكَّ بها، وأهمُّها الشعوب التي اعتنقت الإسلام دينًا؟** ».

المبحث الأوَّل: ضبط المفاهيم.

1/ مفهوم المعرَّب.

إنَّ الألفاظ وكذا المعاني اللُّغويَّة الدائرة في مجالات بحث المعرَّب بصورةٍ عامَّةٍ، لها أثرٌ مباشرٌ إمَّا في الأحكام، وإمَّا في آليات المعالجة للموضوع. وعمومًا فإنَّ مصطلح: " **المعرَّب**" لا يطرح إشكالًا معرفيًّا؛ ولذلك استُعمِل في حقل البحوث في علوم القرآن، والدراسات القرآنيَّة بشكلٍ أوسعَ من غيره. ثمَّ إنَّ هذا اللفظ كأنَّما يُثبِتُ قوَّةً في اللغَّة المقترِضة، بجعلها تُخضِعُ الألفاظَ الدخيلة لآليَّاتها، وقواعدها، وأحكامها.

ويأتي بعده مصطلح: "**الأعجميُّ**" وليس له من القوَّة ما للفظ السابق؛ ويفيدُ فيما يفيد - وإنَّما بصورةٍ ضعيفةٍ- كون اللَّفظ غيرَ أصيلٍ في اللُّغة. وهذه الإشارة الأخيرة تتَّضح وتقوى أكثر، حين يتمُّ توظيف مصطلح: "**الدَّخيل**"؛ وكلا هذين المصطلحين - الأعجمي والدَّخيل- لا يدلَّان بالضرورة على إخضاع اللَّفظ الموصوف بهما لقواعد كلام العرب وأحكامه دومًا.

ثمَّ يأتي مرادِفًا للمعرَّب: "**المقترَضُ**"؛ وإن كان الواقع في البحوث والدراسات، وصفُ العمليَّة، فيقولون: "**الاقتراض اللُّغوي**"؛ وهو عامٌّ في كلِّ اللغات لا يختصُّ - كالمعرَّب- بالعربيَّة؛ وإنَّه لفظٌ فيه نظرٌ- ولكنَّه ليس بمانعٍ من إطلاقه كاصطلاحٍ رغم ذلك- من حيث أنَّه لا عَقْدَ فيه ولا دَيْنَ، ومن حيث أنَّه لا إرجاع للكلمات المُقترَضَة[1].

وأمَّا مفاهيم هذه المصطلحات، في اللغة، وفي الاصطلاح، فهنَّ كالآتي:

أ/ المعرَّب Word introduced in Arabic**:**

فأمَّا لغةً: فهو اسم مفعولٍ من "**التَّعريب**"؛ وأمَّا أصل الجذر فالعين والراء والباء أصولٌ ثلاثةٌ، أحدها: الإبانة والإفصاح؛ أعرب بحجَّته، أي: أفصح بها، ولم يتَّق أحدًا. ولا يستبعِدُ أحمد بن فارس أنَّ أمَّة العرب سمِّيت عربًا من هذا القياس؛ لأنَّ لسانها أعربُ الألسنةِ، وبيانُها أجودُ البيان.

وقيل: سمّيت العرب بها، لأنَّه نشأ أولاد إسماعيل صلوات الله عليه بـ "**عَرَبَةَ**" وهي من تِهامَةَ، فنُسِبوا إلى بلدهم. وكلُّ من سكن بلاد العرب وجزيرَتَها، ونطق بلسان أهلها، فهم عربٌ. وإذن: عَرُبَ لسانُهُ عَرَابَةً وعروبةً، أي: صار عربيًّا؛ وما سمعتُ أعرَبَ منه من كلامه، وأغربَ. وعربيٌّ بيّنُ العُروبة والعُرُوبيَّة؛ وهما من المصادر التي لا أفعال لها. وهو من العَرَبِ العَرْبَاءِ والعارِبَةِ: وهم الصُّرَحاءُ الخُلَّص؛ وأُخِذَ من لفظِهِ فأُكِّدَ به، كقوله: "**ليلٌ لائلٌ**". وفلانٌ من المُستعرِبَةِ، وكذلك المتعرِّبة، وهم: الدُّخلاءُ فيهم. والأعرابُ منهم سكَّان البادية خاصَّةً. وتعرَّب: أي تشبَّه بالعرب، وتعرَّب بعد هجرتِهِ، أي: صار أعرابيًّا[2].

وأمَّا في الاصطلاح: فالمعرَّب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها[3]. أو هو: لفظٌ وضعه غيرُ العرب لمعنًى استعمَلَهُ العربُ بناءً على ذلك الوضعِ[4]. فما أمكن حملُهُ على نظيره من الأبنيةِ العربيَّة حملوه عليهِ؛ وربَّما لم يحمِلُوه على نظيرِهِ؛ بل تكلَّموا به كما تلقَّوهُ. وربَّما تلعَّبوا به فاشتقُّوا منه. وإن تلقَّوْهُ عَلَمًا فليس بمعرَّبٍ، وقيل فيه أعجميٌّ، مثلُ: إبراهيمَ، وإسحق[5].

ب/ الأعجمي Barbarism**:**

وهو اللَّفظ الدخيل، أو غير الفصيح في لغةٍ ما. مثال ذلك في العربيَّة" كلمة "**تلفون**" للدخيل؛ و"**مستشزراتٌ**" لغير الفصيح؛ لما فيها من تنافر الحروف[6]. وتعريب الاسم الأعجميّ: أن تتفوَّه به العرب على منهاجِهَا[7].

وأمَّا لغةً: فالعَجَمُ والعُجْمُ: خلاف العرب؛ يعتَقِبُ هذان المثالان كثيرًا. قال أبو الفتح الموصلي: تركيب (ع ج م) وُضِع في كلام العرب للإبهام والإخفاء؛ وضدِّ البيان والإيضاح؛ فالعُجمة: استعمال الكلمات، أو العبارات استعمالًا لا يتَّفق مع معايير الفصاحة، والبلاغة في لغةٍ ما. ومنه قولهم: "**رجلٌ أعجميٌّ**" و"**امرأةٌ عجماء**" إذا كانا لا يُفصحان. وعَجَمُ الذنب سمِّي بذلك لاستتاره واختفائه؛ والعَجْماءُ: البهيمة، لأنَّها لا توضِحُ ما في نفسها. والعُجْمَةُ في اللِّسان لُكْنَةٌ، وعدمُ فصاحةٍ. وعَجُمَ عُجْمةً فهو أعجمٌ وهو أعجميٌّ - بالألف على النِّسبةِ بالتَّوكيد- أي غيرُ فصيحٍ وإن كان عربيًّا. واستعجَمَ الكلامُ علينا مثلُ استهجَمَ. وأعجَمْتُهُ خلافُ: أعربتُهُ. والأعجم: كلُّ ما لا ينطقُ؛ وكلُّ ناطقٍ فهو فصيحٌ[8].

ج/ الدخيل:

قال ابن فارسٍ: الدال والخاء واللام أصلٌ مضطردٌ منقاسٌ، وهو الولوج؛ والدَّخيل في الصِّناعة: المبتدئ فيها؛ ويقال: "هذا دخيلٌ في بني فلانٍ"، إذا انتسب إليهم، ولم يكن منهم؛ وفيه دَخْلٌ ودَخَلٌ: عيبٌ[9].

وأمَّا الدَّخيل **اصطلاحًا**: فكلُّ كلمةٍ أُدخلت في كلام العرب، وليست منه[10]. والعرب من دأبهم وضع الدَّخيل في قالبٍ عربيٍّ؛ بعد تصحيفه، وتحريفه؛ أو بإسقاطهم بعضَ حروفِهِ وتبديلها؛ أو بإضافتهم إليه بعض أحرفٍ عربيَّةٍ[11].

د/ المقترض والاقتراض linguistic borrowing:

القاف، والراء، والضاد أصلٌ صحيحٌ؛ وهو يدلُّ على القطع. والقَرْضُ: ما تُعطيه الإنسانَ من مالك لتُقضاهُ؛ وكأنَّه شيءٌ قد قطعتَهُ من مالك.[12]

والاقتراض اللغوي في الاصطلاح: استعارةُ متحدِّثٍ أو جماعةٍ لفظًا أو عبارةً من لسانٍ آخرَ، من دون ترجمتها؛ وإنَّما بإخضاعها لقواعد اللغة المقترِضة في الشكل والتركيب والصوتيَّات..[13]. ويعتبر الاقتراض - الذي يقابل جميع طرق التوليد اللُّغوي الأخرى، باعتماده على أنظمةٍ ولغاتٍ أجنبيَّة حيَّةٍ أو ميتَةٍ لا على النظام الداخلي للغة نفسها في خلق وحداتٍ لغويَّة جديدةٍ- وسيلةً تلجأ إليها اللغات جميعُها لإثراء معاجمها اللُّغويَّة.

2/ **مفهوم التواصل الحضاري.**

أ- **من حيث اللُّغة:** الواو والصَّاد واللاَّم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ضَمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتَّى يَعلَقَهُ؛ ووصَلتُهُ به وصلاً؛ والوصل: ضِدُّ الهِجرانِ[14].

ب- **من حيث الاصطلاح:** هو لا يبعد عن المعنى اللُّغوي؛ إذ هو متعلِّق بما هو ضدُّ الهجران والانقطاع؛ وذلك بحسب السياق والمقصود؛ ولعلَّ ذلك ما حمل صاحب كتاب التعريفات على القول إنَّ: الوصل عطف بعض الجمل على بعضٍ.[15]

وفي القرآن الكريم آيةٌ عظيمةٌ هي عنوانٌ للتواصل بين الأمم، تُختصر في: "**لتعارفوا**" قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: 13]. وإنَّ الاتِّصال بين الحضارات يكون من خلال مكوِّناتها الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والعلميَّة والثَّقافيَّة وسواءٌ كان ذلك التَّواصل بين أجيالٍ من ذات الحضارة - وهو التَّواصل الدَّاخلي- أو بين أجيالٍ من حضاراتٍ شتَّى، وفي هذا يقول ديورانت: « والمدنيَّات المختلفة هي بمثابة الأجيال للنَّفس الإنسانيَّة: فكما ترتبط الأجيال المتعاقبة بعضها ببعضٍ بفضل قيام الأسرة بتربية أبنائها، ثمَّ بفضل الكتابة التي تنقل تراث الآباء للأبناء، فكذلك الطباعة والتِّجارة وغيرهما من ألوف الوسائل التي تربط الصِّلات بين النَّاس، قد تعمل على ربط الأواصر بين المدنيَّات، وبذلك تصون للثقافات المقبلة كلَّ ما له قيمةٌ من عناصر مدنيَّتنا»[16].

وإنَّ تعريف اللغة في القديم، وفي الحديث، يركّز على الوظيفة التواصليَّة للُّغة؛ حدَّها قديمًا أعظمَ حدٍّ ابنُ جنّي فقال إنَّها: « أصواتٌ يعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم»[17]. وعرَّفتها الجمعيَّة الأمريكيَّة للكلام واللغة والسمع بأنَّها: « نظامٌ معقَّدٌ، وديناميٌّ من الرموز الاصطلاحيَّة؛ يُستخدم بطرقٍ مختلفةٍ من أجل التفكير والتواصل»[18].

وعليه فالكلام وسيلةٌ لفظيَّةٌ للتواصل؛ ومن طرق التواصل الأخرى: الكتابة، والرسم، والإشارات اليدويَّة وغيرها[19]. وما يجعل اللغة أداةً في التواصل بين مختلف الحضارات، هو أنَّ "اللُّغات ليست مغلقةً، ولا جامدة؛ فالتفاعلات بين اللُّغات تحدث بشكلٍ طبيعيّ؛ واللُّغات تتطوَّر وتنمو وتتغيَّر؛ واللُّغات التي لا تفعل ذلك يكون الفناءُ مصيرَها[20].

وإذا كانت اللغة "تتطوَّر ضمن سياقاتٍ ثقافيَّة، واجتماعيَّة، وتاريخيَّة محدَّدةٍ"[21] فإنَّ الاقتراض اللُّغوي يكون من بين محصّلات الحاجات الحضاريَّة المشتركة؛ فإنَّه - مثلًا- إذا "عثر الناطقون على شيءٍ جديدٍ - لم يكونوا يعرفونه قبلُ- من الأشياء الماديَّة، وكذلك من المعاني؛ اضطرُّوا إلى تسميته؛ فإمَّا أن يستعينوا على ذلك بكلمةٍ موجودةٍ قديمةٍ، معناها قريبٌ من المطلوب؛ أو أن يخترعوا كلمةً جديدةً؛ أو أن يستعيروا كلمةً أجنبيَّةً. وأكثرُ ذلك إذا كان الشيءُ أجنبيًّا أيضًا، يأتيهم من خارج بلادهم، واسمُهُ معه"[22].

وأخيرًا نقول؛ إنَّه لا يكون ذلك التواصلُ في نظر النَّاس إيجابيًّا دومًا؛ فقد يكون الاختلاف اللُّغوي مادةً للصراع والمشكلات في شتَّى مستوياتها كذلك. إذ إنَّ التواصلَ الحضاريَّ من طريق اللُّغة يعود بالأساس إلى ضرورات الاجتماع الإنساني، والذي تقتضيه الغرائز المركوزة في أعماق النَّفس البشريَّة. بالمقابل نجد انحياز الكتل البشريَّة المختلفة إلى ما يميّز اجتماعها، بعضَها عن بعضٍ؛ كالعرق واللون والجنس واللِّسان، والدِّين، والتَّاريخ وأنواع القرابات، ونحو ذلك؛ والذي يتطوَّر بحسب كلّ كتلةٍ إلى تعصُّبٍ مذمومٍ، واستعلاءِ بعضهم على بعضٍ. فتكون تلك المميّزات كما أسلفنا مادةً للصراعات والحروب؛ وقلَّما يتنبَّه البشر إلى توجيهها الوجهةَ الإيجابيّةَ الفاعلة.

المبحث الثاني: إشكاليّة المعرَّب في القرآن الكريم عند العلماء المسلمين.

إنَّ إشكاليَّة المعرَّب في القرآن الكريم لدى العلماء المسلمين، بحثها حقَّ البحثِ المفسِّرون والباحثون في علوم القرآن والدراسات القرآنيَّة عمومًا؛ وكذا اللُّغويُّون والذين هم بالأساس يتَّخذون من القرآن الكريم مادةَ دراستهم. وهذا ينبّهنا إلى أنَّ المسألةَ ذات بعدين: بعدٍ عقديٍّ دينيّ،

وبعدٍ لغوي؛ وبحث النتائج المحصَّلة في ذلك، يتوقف على مدى الوعي ببعدَيْ المسألة؛ ويمكننا أن نقف على بضع ملاحظاتٍ فيما يتعلَّق بالدرس قديمًا على وجه العموم كالآتي:

أ/ مسألة المعرَّب لم تأخذ مكانًا واسعًا في أيّ من الصراعات العقديَّة الداخليَّة، أو الخارجيَّة مع الآخر؛ بل كانت مناقشتُها هادئةً وفي أطرٍ علميَّة بحتة؛ وذلك على الرُّغم من تعدُّد الآراء والمواقف حولها؛ ولم نجد لها وجودًا أصلًا في مقالات الإسلاميّين.

ب/ سواء قلنا بوجود المعرَّب في القرآن الكريم - وهو الصواب والله أعلم- أو نفيناه، أو توسَّطنا بين القولين؛ فليس من نتيجته عدم عربيَّة القرآن العظيم. وكلُّ مقالات المختلفين تؤول إلى أنَّ القرآن أنزل بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ.

ج/ لا يمكن أن يتوجَّه نقدٌ ذو بالٍ إلى العلماء المسلمين، مفسِّرين ولغويّين - إلَّا على سبيل التنبيه والتقويم- فيما يتعلَّق بنتائجِ عزوِهِم لما يرونهم أعجميًّا إلى لغاته التي اقتُرِضَ منها؛ وأقصد تحديدًا النواحي التي انتقدهم فيها الاستشراق كما سيأتي. فلا يمكن بحالٍ التشكيك في أهليتهم اللُّغويَّة فهم أهلُ العربيَّة، وفيهم الكثيرون ممَّن يتقنون الفارسيَّة على الأقلِّ - وهي أكثر مادة المعرَّب- وكثيرٌ منهم على حسٍّ، وذوقٍ عاليْنِ بماهيَّات اللغة الإنسانيَّة. وقد بذلوا في سبيل عزو الدخيل إلى أصله ما وَسِعَتْهُم طاقاتُهم في ذلك؛ وليسوا معصومين - لا في مجموعهم ولا في أحادِهِم- في النتائج العلميَّة الاجتهاديَّة، ولا يمكن أن يكون ذلك مدخلًا إلى التشكيك في قدرتهم على التعامل مع الموضوع.

د/ مسألة تفضيل العربيَّة على سائر اللُّغات، والعرب على سائر الأمم؛ ليس لها أثرٌ عند القدماء في مسألة المعرَّب في القرآن الكريم؛ كما حاول بعض المستشرقين التسويق له. والمسألة في أهون مراتبها مسألةٌ علميَّة يمكنُ لكلِّ طرفٍ أن يجادل فيها بالأدلة والبراهين؛ وكأنَّ من يسلب العربيَّة كلَّ خصيصةٍ وميزةٍ إيجابيَّة يوصف بالعلميَّة؛ ومن أثبت لها أصنافًا كثيرةً من الإيجابيَّات متعصِّبٌ وغير علميٍّ ولا منهجيٍّ. ولم يحدث في القديم أن علَّل علماء الشريعة الإسلاميَّة، أو اللُّغويُّون منهم - من الذين أنكروا وجود المعرَّب في القرآن الكريم أو خارجَهُ- إنكارَهم له بكون اللغة العربيَّة في غُنيةٍ عن غيرها؛ أو كانت العلَّةُ الاستعلاء عن بقيَّة اللُّغات، وتنزيه العربيَّة أن تأخذ منها. ولذلك فمسألة تفضيل العربيَّة شيءٌ، ومسألة المعرَّب مسألةٌ أخرى[23]. بل من علماء المسلمين من أنكر تفضيل العربيَّة من دون أن تُوجَّه إليه أدنى أحكام التفسيق أو التكفير؛ قال ابن حزمٍ: «وقد توهَّم قومٌ في لغتهم أنَّها أفضل اللُّغات؛ وهذا لا

معنى له؛ لأنَّ وجوه الفضل معروفةٌ، وإنَّما هي بعملٍ أو اختصاصٍ. ولا عملَ للُّغة، ولا جاء نصٌّ في تفضيل لغةٍ على لغةٍ»[24].

هـ/ لم يتحدَّث القدماء مباشرةً عن كون المعرَّب دليلَ فاعليَّةٍ للتواصل الحضاري بين أمَّة العربيَّة وباقي الأمم اللُّغويَّة؛ وإنَّما يُستخلص ذلك من أحاديثهم؛ وكذلك يدلُّ عليه صنيعُهم في التعامل مع المعرَّبات. وإنَّ أساس التساهل عند الأوَّلين في مسألة المعرَّب هو الإيمان بأنَّ الله تعالى جعل من آياته للنَّاس اختلاف الألسنة؛ وذلك الاختلاف أساسه: "**لتعارفوا**". وأمَّا أساس المنع عند من منع فهو: تعارضُ المسألة في ذهنه مع الآيات الكثيرة التي تتحدَّث عن إنزال القرآن العظيم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ.

وأمَّا صورة تركيب المسألة والإشكاليَّة فهي كالآتي:

أوَّلًا: ورود آياتٍ كريمات في عربيَّة القرآن العظيم المبينةِ؛ كقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ [فصّلت: 44]. ﴿**قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الزمر: 28]. ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: 192- 195]. ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [النحل: 103].

ثانيًا: ورود توافقٍ في مفردات بين العربيَّة وغيرها في القرآن الكريم؛ وقلنا هنا توافق لتحتمل العبارة كلَّ أنواع المواقف في تبريرِهَا؛ وهو ما عنون به الطبري أحد الموضوعات في مقدِّمة تفسيره فقال: « **القول في البيان عن الأحرف التي اتَّفقت فيها ألفاظ العرب، وألفاظُ غيرها من بعض أجناس الأمم**»[25]. وقال أبو عبيدة موظِّفًا العبارة ذاتها: وقد يوافق اللَّفظُ اللَّفظَ ويقاربه، ومعناهما واحدٌ؛ وأحدهما بالعربيَّة والآخر بالفارسيَّة أو غيرها[26].

ثالثًا: كيف يمكن تفسير ذلك التوافق؟ هنا تتشعَّب المواقف والأحكام:

فأَكْبَرَ قومٌ أن يُقِرُّوا بوجود ألفاظٍ ذات أَرُومَةٍ غير عربيَّة في القرآن[27]؛ وذلك أنَّه غير جائزٍ أن يُتوهَّم على ذي فطرةٍ صحيحةٍ مقرٍّ بكتاب الله، ممَّن قد قرأ القرآن، وعرف حدود الله، أن يعتقد أنَّ بعض القرآن فارسيٌّ لا عربيٌّ. وبعضه نبطيٌّ لا عربيّ، وبعضه روميٌّ لا عربيّ، وبعضه حبشيٌّ لا عربيّ؛ بعدما أخبر الله تعالى ذكرُهُ عنه أنَّ جعله قرآنًا عربيًّا[28]. وقال بوقوعه ابن عباس ومجاهد وعكرمة[29]. ونفاه الأكثرون[30].

وتوسَّط آخرون؛ فقال منهم أبو عبيدة: والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أنَّ هذه الحروف أصولها عَجَمِيَّةٌ كما قال الفقهاء؛ إلاَّ أنَّها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها؛ وحوَّلتها عن الألفاظ العجمية إلى ألفاظها، فصارت عربيَّةً. ثمَّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال إنَّها عربيَّة فهو صادق؛ ومن قال عجميَّة فهو صادق. وذكر الجواليقي في المعرَّب مثله وقال: فهي عجميَّةٌ باعتبار الأصل؛ عربيَّةٌ باعتبار الحال[31].

وأمَّا من حيث الأدلَّة فالاحتجاج هو من ظاهر القرآن الكريم في الجانب العقدي؛ والمعارف اللُّغويَّة ووقائعها في الجانب اللُّغوي. وأَلْفِتُ ههنا النظرَ إلى أنَّ الآية الرابعة والأربعين من سورة: "**فصِّلت**" التي يستدلُّ بها أكثر اللُّغويّين المعاصرين في التدليل على أحكامهم في هذه المسألة؛ لا يتَّخذها أغلب المفسِّرين دليل انتفاءِ المعرَّب؛ بل وحديثهم عن المعرَّب لم يكن في هذا الموضع عند كثيرٍ منهم؛ والمعنى عندهم لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾؛ أي: هلَّا فصِّلت آياتُهُ، أي أُنزلت عربيَّةً مفصَّلةً بالآي؛ أي بُيِّنت بلغتنا، فإنَّنا عربٌ لا نفهم لغة العجم - كأنَّ التفصيل للسان العرب- ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ حكايةً عنهم؛ كأنَّهم يَعجَبُون فيقولون: أكتابٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ؟ كيف يكون ذلك؟ فكان ذلك أشدَّ لتكذيبِهم. ﴿**لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ**﴾؛ أَيُلقى لفظٌ أعجميٌّ إلى مخاطَبٍ عربيّ. هكذا رُوي هذا المعنى عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسُّدِّيّ، وغيرهم[32].

قال الطبري: وقد خالف هذا القولَ الذي ذكرناه عن هؤلاء آخرون فقالوا: معنى ذلك ﴿**لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾ بعضها عربيٌّ، وبعضُها عَجَمِيٌّ. وهذا التأويل على تأويل من قرأ "**أعجميٌّ**" بترك الاستفهام فيه، وجَعَلَهُ خبرًا من الله تعالى عن قِيلِ المشركين؛ ذلك يعني: هلَّا فُصِّلت آياتُهُ منها عجميٌّ تعرفه العجم؛ ومنها عربيٌّ تفقهُهُ العربُ[33].

ومن الأمور التي يمكن أن يستدلَّ بها على عدم صواب تسفيه قول من قال بتواطئ اللغات، أنَّ العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه؛ بل لبعضها الفضلُ في ذلك على بعضٍ. والدليل عليه قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ [آل عمران: 7]؛ فأعلمنا الله تبارك وتعالى أنَّ من القرآن ما لا يعلَمُهُ من العرب إلَّا من رسخ في العلم. ويدلُّ عليه قولُ بعضِهم: «يا رسول الله إنَّكَ لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه؛ ونحن العرب حقًّا، فقال: "**إنَّ ربِّي علَّمني فتعلَّمتُ**"»[34]. وكذلك مذهبها في الشِّعر، ليس كلُّها يقولُهُ؛ وإنَّما يقوله في القبيلة الواحد والاثنان[35].

المبحث الثالث: إشكاليَّة المعرَّب في القرآن الكريم عند المستشرقين: أبعادُها وآثارُها.

تندرج مسألة المعرَّب في القرآن الكريم لدى المستشرقين ضمن جهودهم العلميَّة المثيرة للجدل؛ والتي جعلت المسلمين - علماءَ وعامَّةً- مضطربين في الحكم لهم أو عليهم.

ولو شئنا أن نصف التعامل مع المعرَّب عمومًا بين القديم والحديث لقلنا كما قال أحد الباحثين: إنَّ ثمَّة قدرًا كبيراً من المبالغة؛ بل الإقحامُ بعلمٍ أو بغير علمٍ في ادِّعاء عُجمة بعض الألفاظ؛ مردُّه في القديم الاتِّجاهاتُ الشعوبيَّة، وفي الحديث الميلُ الغربيُّ للتقليل من شأن العربيَّة، لغة القرآن الكريم[36].

وإنَّ ما يؤخذ على دراسات المستشرقين يتلخَّص في أمورٍ ثلاثةٍ: [37]

- أنَّ قسمًا منها لم يخلُ من الغرض؛ فهي تفتقد النقدَ العلميَّ (المطلق).
- أنَّها لم تتوصَّل بشكلٍ حاسمٍ إلى تعيين موطنِ الساميّين الأوَّل؛ مع ملاحظة أن أغلب الدارسين مقتنعون بأنَّ التَّاريخ المعروف لمعظم الموجات الساميَّة يرجِّح خروجها من جزيرة العرب؛ لكن التساؤل مازال قائمًا عن العصور الأقدم.
- أنَّها لم تصل إلى شكلٍ نهائيٍّ، يقوم على أساس التصوُّر العلمي، لشجرة العلاقات بين هذه اللُّغات.

وفي اعتقادي، فإنَّ طريقة طرح المستشرقين للمسألة، وكذا منهجياتهم في تتبعها ومعالجتها؛ لا توحي إليَّ بشيءٍ من الاطمئنان إلَّا قليلًا؛ بل أُراها بابًا من أبواب سعيهم في إثبات قصور دين الإسلام وضعفه، في مختلف مميّزاته: كتابًا، ونبيًّا وتعاليمَ وغيرها[38]؛ ولربَّما دلَّنا على ذلك بعض الآتي:

1/ مشكلات أدواتهم البحثيّة:

ومن ذلك تطبيق بعض المناهج من دون مراعاة خصوصيَّات اللُّغة العربيَّة؛ ونضيف إلى ذلك كذلك خلفيَّاتهم التي ينطلقون منها في إطار الصراع مع الشرق؛ وقد تحدَّث "**عصام فاروق**" عن آثار تطبيق المستشرقين للمناهج الغربيَّة في دراستهم للغة العربيَّة؛ أوَّلُها: سخرية البعض منهم من تعلُّق العرب بالفصحى مع كونها من اللُّغات التي هُجرت منذ أمدٍ بعيدٍ، أو في طريقها إلى الهجر. والأثر الثاني: اتِّهام البعض منهم للعربيَّة الفصحى بالجمود، والربط بينها وبين اللاتينيَّة الكلاسيكيَّة من هذه الوجهة[39]. مع أنَّنا نلاحظ كون القوميات الأوروبيَّة ارتبطت باللغات القوميَّة المتوافقة معها؛ ومع ملاحظة أنَّ اللاَّتينيَّة ليست لغةً دينيَّة ولا باللغة القوميَّة الجامعة للقوميَّات؛ ولا تتوافق

مع الواقع الأوروبي، والمستقبل الذي كان يُخطَّط له. وإذا كانت هذه خلفيَّاتهم، فلا ننتظر إذن منهم نزاهةً في مسالك البحث.

ويمكن أن نتلمَّس كذلك في أبحاثهم ومناهجهم إلغاءً يكاد يكون كلِّيًّا لأدوات البحث لدى المسلمين، أو التشكيك في صلُوحِها؛ ولا نجدهم يتمِّمون - مثلًا- ووِفق معطيات الدرس اللغوي الحديث القواعدَ التي وضعها الأوَّلون في طريقة معرفة الدخيل؛ ومنها أنَّه تُعرف عُجمة الاسم بوجوهٍ:

- **أحدها**: النَّقل، بأن ينقل ذلك أحد أئمَّة العربيَّة.
- **الثاني**: خروجه عن أوزان الأسماء العربيَّة نحو إبرسيم؛ فإنَّ مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللِّسان العربي.
- **الثالث**: أن يكون أوَّله نونٌ ثمَّ راءٌ، نحو نرجس؛ فإنَّ ذلك لا يكون في كلمة عربيَّة.
- **الرابع**: أن يكون آخره زاي بعد دال نحو مهندز؛ فإنَّ ذلك لا يكون في كلمةٍ عربيَّةٍ.
- **الخامس**: أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو: الصَّولجان، والجص.
- **السادس**: أن يجتمع فيه الجيم والقاف، نحو المنجنيق.
- **السابع**: أن يكون خماسيًّا ورباعيًّا عارياً عن حروف الذلاقة؛ وهي: الباء، والراء، والفاء، واللاَّم، والميم، والنُّون. فإنَّه متى كان عربيًّا، فلا بدَّ أن يكون فيه شيءٌ منها، نحو سفرجل، وقذعمل، وقرطعب، وجحمرش، فهذا ما جمعه أبو حيَّان في شرح التَّسهيل[40]. بل في كثيرٍ من الأحايين نجد المستشرقين وبمجرَّد التشابه يحكمون بعجمة اللفظة.

2/ تكثير حجم المعرَّب:

وسواء كان ذلك في عموم اللغة العربيَّة، أو في القرآن الكريم؛ ولعلَّ الأستاذ "**برغشتراسر** Bergsträsser" في كتابه: " **التطوُّر النَّحوي للغة العربيَّة**" كان من أشدِّ المغالين في القول بأنَّ العربيَّة أخذت عن اللُّغات الأجنبيَّة - كما يصفها- عددًا هائلًا من الألفاظ، ورد الكثيرُ منها في القرآن الكريم[41]... وواضحٌ أنَّ **برغشتراسر** يعني بالعربيَّة هنا لغة أهل مكة ليس غير؛ أو على الأكثر لغة الحجاز. وفي كتابه خلطٌ كثيرٌ، متعمَّدٌ أحيانًا؛ أو عن عدم معرفةٍ بالعربيَّة ذاتِها[42].

يقول الدكتور: " **إبراهيم السامرائي**": « وقد نال من العربيَّة غيرُ العرب، من السُّريان، والفرس؛ فزعموا أنَّ كثيرًا من العربيَّة قد أُخِذَ من هذه وتلك؛ وذهب "**مار أفرام أغناطيوس**" إلى

هذا فصنَّف كتابًا؛ ادَّعى فيه أنَّ الكثير من كلمات العربيَّة قد أُخِذَ من لغةٍ آراميَّةٍ سريانيَّةٍ؛ وتَعَجَّبْ من هذا الذي جعل: قرأ، وكتب، وزرع، وصلَّى، وصام، وزكَّى، وحجَّ؛ وعشراتٍ غيرِ هذا ما استعارتْهُ العربيَّةُ من السريانيَّة»[43]. ويقصد الألفاظ القرآنيَّة تحديدًا.

3/ الاستعلاء على علماء المسلمين قدمائهم ومعاصريهم:

كحكم بعض المستشرقين الألمان بجهل علماء العربيَّة باللُّغات الساميَّة؛ لذا لم يُوفَّقوا -برأيهم- إلى بيان المعاني الدقيقة للكلمات، أو أصولها الاشتقاقيَّة؛ لاقتصارهم على معرفة العربيَّة وحدها[44]. وليس مقصودُهُم وصف قلَّة المعارف، أو ضعف الأدوات والوسائل؛ وإنَّما الغرض تسفيه الجهود.

وقد تأثَّر اللغويُّون العرب المعاصرون بالجهود الاستشراقيَّة إلى حدٍّ كبيرٍ؛ وذلك التأثُّر لا يعني سوء نيَّة المتأثِّر، بل قد تجد كثيرًا منهم هم من أصحاب العلم والفضل. ومن ذلك قول إبراهيم السامرائي: معرفة أصحاب المصادر بالمعرَّب وحقيقتِهِ لم تكن معرفةً يقينيَّةً؛ إنَّ قولَهم: "**أحسبُ**" يدلُّ على هذا الذي خلَصْنا إليه[45]. ثمَّ قال: وقد يكون لي أن أشير إلى عدم تثبُّت صاحب "**المعرَّب**" في كلامه على: "**البِيعة**" و" **الكنيسة**" في قوله: « جعلهما بعض العلماء فارسيَّين معرَّبين». أقول: إنَّ قول صاحب "**المعرَّب**" هذا، يشير إلى أنَّ بعض العلماء لم يكونوا على سعةٍ من العلم، فيدروا الأصولَ في العربيَّة، وما يقابلها في اللُّغات الساميَّة الأخرى[46].

أو قول علي فهمي خشيم: « القول بعُجمة لفظٍ من ألفاظ العربيَّة عند الأقدمين لم يكن مبنيًّا على البحث والدرس والعلم بلغاتٍ غير عربيَّة؛ وإنَّما كان مبنيًّا على الظنّ والتوهُّم. وعندهم أنَّ كلَّ كلمةٍ لم يشتهر فيها استعمالٌ جاهليٌّ دخيلةٌ. وإذا كانت دخيلةً، فهي عند أحدهم فارسيَّةٌ، وعند آخرَ عبرانيَّةٌ أو سريانيَّةٌ أو حبشيَّةٌ. ولم يهتدوا إلى أنَّ بين العربيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة والحبشيَّة، ولغاتٍ أخرى علاقاتٌ تاريخيَّة، وقرابات لغويَّة، مردُّها الأصول - الساميَّة- الأولى التي دلَّ عليها البحث الحديث»[47].

ولكن حقيقة ما في الأمر - في اعتقادي- أنَّ القدماء اجتهدوا وفق الوسع؛ ووظَّفوا منتهى ما أمكنهم من أدواتٍ؛ واستنبطوا من المعجم الاستعمال العربي الأصيل، واستنبطوا صفات الدخيل؛ وكان منهم كثيرٌ ممَّن هو فقيهٌ في الفارسيَّة على سبيل المثال؛ والمستشرقون على سعة معارفهم اللغويَّة لا يمكنهم الجزم أيضًا في كثيرٍ من الألفاظ، والمباحث. وحين يقول العالم: "أحسب كذا..." فهذه مسالك علميَّةٌ ومنهجيَّة تُحسب له؛ وهي علاماتُ بعدٍ عن التعصُّب وعن التكلُّف؛ وتأدُّبٌ مع المعارف الإنسانيَّة التي

ليس لها من الدقَّة ما للعلوم الكونيَّة. يقول محمَّد حسن عبد العزيز: «ويلاحظ القارئ أنَّ المصادر القديمة أو الحديثة تختلف في نسبة بعض الألفاظ إلى لغةٍ أو أخرى من اللغات التي أثَّرت في العربية. وهو اختلافٌ متوقَّع لبعد العهد بهذه اللغات وبأصولها؛ ولأنَّ بعضها قد يكون كما هو الحال بالنِّسبة لليونانيَّة واللاَّتينيَّة والفارسيَّة، قد يكون وجد طريقه إلى العربيَّة عن طريق لغة وسيطةٍ كالآراميَّة مثلاً»[48]. فالأمر إذن اجتهادٌ مهما كانت النتائج قديمًا أو حديثًا.

ثمَّ هل يجهل حقًّا الأوَّلون المفاهيم الأساسيَّة للعلاقات بين اللُّغات؟ سأجتزئ للإجابة عن هذا التساؤل كلامًا لابن حزم، يدلُّنا على أنَّ البحوث اللغويَّة عند المسلمين قديمًا لم تكن كهفيَّةً ظلاميَّةً؛ قال رحمه الله: « فإنَّه بمجاورة أهل البلدة بأمَّةٍ أخرى، يتبدَّل لغتها تبديلًا لا يخفى على من تأمَّله. ونحن نجد العامَّة قد بدَّلت الألفاظ في اللُّغة العربيَّة تبديلًا؛ وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلُغةٍ أخرى ولا فرقَ؛ فنجدهم يقولون في العنب: "**العَيْنَب**"، وفي السَّوط: "**أسطوط**"، وفي ثلاثة دنانير: "**ثَلْثَدًا**". وإذا تعرَّب البربريُّ فأراد أن يقول: "**الشجرة**" قال: "**السجرة**". وإذا تعرَّب الجليقيُّ أبدل من العين والحاء هاءً؛ فيقول: "**مهمَّدا**" إذا أراد أن يقول: "**محمَّدا**". ومثل هذا كثيرٌ. فمن تدبَّر العربيَّة والعبرانيَّة والسُّريانيَّة أيقن أنَّ اختلافها إنَّما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ النَّاس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم؛ وإنَّها لغةٌ واحدةٌ في الأصل. وإذ قد تيقنَّا ذلك، فالسريانيَّةُ أصلٌ للعربيَّة وللعبرانيَّة معًا»[49]. وبغضِّ النظر عن النتيجة؛ هل كلام ابن حزم السابق، يدلُّ على جهلٍ بمفاهيم اللغة وطبيعتها، واحتكاكها، ونجوها من الأمور؟ كلَّا.

كما إنَّنا نلاحظ أنَّ بعض اللُّغويّين المعاصرين تساهلوا في بحث القضيَّة من جانبٍ لغويٍّ فقط؛ وأطلقوا أحكامًا على ذلك الأساس فيها نوع غمطٍ لحقوق بعض القدامى؛ كقول أحد الباحثين: « لكنَّ ابنَ عبَّاسٍ، ومجاهدًا، وعكرِمَةَ، وغيرهم واجهوا المسألةَ بروحٍ علميَّةٍ، وقفَّى على آثارِهم الباحثون»[50]. فقوله: "**بروحٍ علميَّةٍ**" يسلبها غيرَهم؛ وقوله: " وقفَّى على آثارهم الباحثون"، يوحي بأنَّه لا وزن للمخالفين.

وأودُّ هنا أن أشير أنَّ سوق هذا الكلام، لا يُقصد به أبدًا الانتقاص من علم وفضل المنتَقَد؛ وإنَّما التنبيه فقط؛ فلا خير فيمن لا يقدِّر أصحاب الجهود، من الأوَّلين والآخرين.

4/ استخدام بعضهم لقوالب مغالِطة:

يحاول المستشرقون عمومًا في عرضهم لأيّ فكرةٍ علميَّة أو نظريَّةٍ أن يضعوها في قالبٍ يبرّرها ويقوّيها؛ وفي مجال المعرَّب في القرآن الكريم يحاولون ذلك كذلك؛ وأنقل هنا أحد القوالب المحتوِي مغالطاتٍ جمَّة؛ يقول أحدهم عن غرض المسلمين: « يُثبَتُ في المرحلة الأولى أنَّ النصَّ نصٌّ إلهيٌّ لأنَّه

معجِزٌ؛ والدليل عليه - كما رأيناه- موجودٌ في القرآن نفسه. ثمَّ يُبيَّن في مرحلةٍ ثانيةٍ أنَّ الفصاحةَ الإلهيَّة مرتبطةٌ باللُّغة العربيَّة التي يستغلُّ النَّصُّ المقدَّس إمكاناتها أحسن استغلالٍ، مصداقًا للآية 195 من سورة الشعراء: ﴿ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾. ومن جهةٍ أخرى لا يمكن لأحدٍ أن يزعم أنَّه يستطيع في أيّ لغةٍ أخرى، أن يفعل ما عجز العرب عن فعله، أي تجاوز القرآن في فصاحته. وهكذا يستتبعُ إعجاز الكتاب المقدَّس تفوق اللغة العربيَّة نفسِها؛ لأنَّه إن كان العربيُّ الفصيح لا يستطيع أن يباري النَّصَّ القرآنيَّ - وهو الذي نزل بالعربيَّة بالطبع- فستكون اللُّغات الأخرى، والمتكلِّمون بها خلف ذلك بكثيرٍ[51]. غير أنَّ هذا لم يمنع قطُّ من نشوء نظريَّةٍ تجعل الفصاحةَ سمةً من سمات العرب. فالعربيَّةُ لغةُ الله، هي إذًا لغةٌ كاملةٌ؛ والعرب يتكلَّمون لغة الله، فهم إذًا شعبٌ مختارٌ. والعربيُّ أفصحُ النَّاس، لا يفوق كلامَهُ فصاحةً إلَّا الكلام الإلهيُّ؛ والعربيُّ أمير الفصاحة والشِّعر»[52]. وهذا البناء الاستدلالي هو من وحي هذا المستشرق، وليس هو من استدلالات المسلمين على إعجاز القرآن العظيم، ولا كان منهم هذا الربط الذي ربطه بين مجموعة من الأفكار والاستنباطات.

5/ قطعهُم في مسألةٍ تحتمل تعدُّد وجهات النظر:

وكأنَّ من خالف أبحاثهم يخالف العلم وروحَهُ؛ والأصل كما بيَّنَّا سابقًا، أنَّ المسألة اجتهاديَّةٌ، وتتحمَّل آراء متعدِّدةً؛ والتواضع في العلم الذي تحتِّمه ممارسة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة عمومًا؛ تقتضي إفساح المجال للمناقشة، وعدم تسليط سيوف التجهيل، والتسفيه والتتفيه؛ ونقول كما قال أحد الباحثين أنَّه: إذا كان الرصيد المعرَّب يعود إلى لغاتٍ ساميَّةٍ أخرى؛ فإنَّ التحقُّقَ الواضح لا يكون في الحقيقة ممكنًا دائمًا؛ إذ إنَّه يفتقر غالبًا إلى سمات التَّفريق الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة. ولا تكفي المعايير الدلاليَّة وحدها دائمًا لحكمٍ واضحٍ[53].

ولا نرى في هذا المجال القولَ بالتوقيف للغة أنَّه نظريَّةٌ عاطفيَّة دينيَّة لا تقوم على أسسٍ علميَّة؛ بل قناعتي بها - وفي النَّاس من يخالفها- وأقول ببعض ما قال به ابن حزمٍ: وقد يمكن أن يكون الله تعالى وقف آدمَ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم، على جميع اللُّغات التي تنطق بها النَّاس كلُّهم الآن؛ ولعلَّها كانت حينئذٍ لغةً واحدةً، مترادفةَ الأسماء على المسمَّيات؛ ثمَّ صارت لغاتٍ كثيرةً، إذ توزَّعها بنوه بعد ذلك، وهذا هو الأظهر عندنا والأقرب[54].

6/ التركيز على الاقتراض في المعارف والمصطلحات الدّينيَّة:

وهذا الجهد منهم هو بيت القصيد، وينتظم في مسعاهم إثباتُ اقتباس القرآن العظيم في تعاليمه ومفاهيمه وشرائعه وشعائره من الكتب والدِّيانات السابقة عليه؛ على الرُّغم من كون

المعرَّب بالأساس إنَّما تعلَّق بالأشياء الماديَّة بالأساس أكثر من المعنويَّات، والتي كانت في حضاراتٍ مجاورة؛ ولم يعرفها العرب إلَّا من طريقهم.

يقول **أنطون شال**: إنَّ الثَّروة اللُّغويَّة في القرآن تقدِّم صورةً واضحةً عن علاقات العرب الثقافيَّة بثقافات الشعوب المجاورة؛ ويتجلَّى ذلك في وضوحٍ شديدٍ من تدفُّق **الحصيلة اللُّغويَّة الآراميَّة المسيحيَّة واليهوديَّة** في مجال اللُّغويَّة الدِّينيَّة. فقد اقترضت العربيَّة من خلال هذا الطريق مجموعةً من ألفاظ التَّوراة أيضًا؛ مثل: أمَّة من العبريَّةUmma: h (أصل، شعب)؛ ونبي من العبريَّة Na: bi؛ ومَلَك من العبريَّة Mal'a: k (بشارة ملاك)؛ صدقة من العبريَّة Sda: qa: h (حق، سلوك قويم، صدقة)، وصوم من العبريةSo: m [55].

وقالوا: « أهمُّ الكلمات الحبشيَّة الموجودة في العربيَّة، هي العائدة إلى أشياء دينيَّة؛ كـ: « حواريُّون، ونافق، ومنافقون، وفطر، ومنبر، ومحراب، ومصحف، وبرهان»؛ و"**نافق**" مأخوذةٌ من "nãfaka"، أي شكَّ وداهن؛ ومنها تُشتقُّ "manãfek" أي تابعٌ لطائفةٍ مخالفةٍ للعامَّة. ومثل إنجيل، من الأثيوبيَّة Wangel (من اليونانيَّة Evangelios) ؛ وبرهان، من الأثيوبيَّة Berha: n (ضوء، كشف). وحزب من الأثيوبيَّة Hezb (مجموعةٌ من النَّاس، قبيلةٌ). ولفظ "**مصحف**" الذي ظهر في وقتٍ لاحقٍ لجمع القرآن الكريم من الأثيوبيَّة **Mashof** . والكلمة الدخيلة "**سجن**" وهي وفق كلِّ احتمالٍ من القبطيَّة؛ فربَّما دخلت إلى العربيَّة ابتداءً من خلال سورة يوسف؛ فهي ترجع إلى الكلمة اللَّاتينيَّة Signum، التي ترد بمعنى "**سجن**" وترجع إلى قطع الفخَّار القبطيَّة "**شقاف**"»[56].

وقال برغشتراسر G.Bergsträsser عن الآراميَّة[57]: ومنها كثيرٌ من الألفاظ الدِّينيَّة، كـ: « رحمن، وقيُّوم، وسكينة، وفرقان، وملاك، وصلَّى، وصام، وتاب، وزكا، وزكاة، وكفر، وعبد، وصلب، وصليب، وزنديق، ورجز، ودجَّال»[58]. وكلامه - والكلام السابق عليه- لا يفهم منه إلَّا شيءٌ واحدٌ: أنَّه لا توجد عربيَّةٌ أصليَّةٌ أصلًا؛ ولا توجد مفاهيم دينيَّةٌ أصيلةٌ في القرآن العظيم ثمَّ هو قد خالف ما قرَّره سابقًا في الحكم أنَّه حين تساوي اللفظ أنَّ الطريقة أن: «نستنتج ذلك من تحقيق لفظ الكلمة ومعناها، وكيفيَّة استعمالها في اللُّغتين؛ ومن العلاقات بينها، وبين سائر ألفاظها. وأهمُّ الحجج: وجود اشتقاقٍ ظاهرٍ بيِّنٍ للكلمة في إحدى اللُّغتين مع عدمه في الأخرى»[59]. فأين انعدام الاشتقاق في الألفاظ التي ذكرها؟ والعجيب هو في اسم الرحمن البيِّن مسارات الاشتقاق؛ فبرَّر اقتراضه بعجيبةٍ من العجائب، إذ قال: فـ: "**رحمن**" - وإن أشبهت الصفات العربيَّة في وزن فَعْلان- فهي تخالفها في أنَّه يداخلُ معناها شيءٌ من الاسميَّة والعلَمِيَّة، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: 5]؛ وهذا نفسُ معنى الألف والنُّون اللّاحقين في الآراميَّة[60]. ونحن نتساءل: هل المشكلة في الوزن: "**فعلان**" للدلالة على أصالة اللفظة أم في الاشتقاق المعلوم؟

كما إنَّ المستشرقين خلطوا ما بين الدخيل، وبين نقل الألفاظ في الخطاب القرآني إلى بعض الاستعمالات والحقائق الشرعيَّة الجديدة؛ والذي يشرحه ابن فارس - وغيره- ممَّا عبَّر عنه في باب الأسباب الإسلاميَّة بقوله: كانت العربُ في جاهليَّتها على إرثٍ من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم؛ فلمَّا جاء الله جلَّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسِخت دياناتٌ، وأُبطِلت أمورٌ؛ ونُقلت من اللُّغة ألفاظٌ من مواضعَ إلى مواضعَ أُخَرَ، بزياداتٍ زيدت، وشرائعَ شُرِعَتْ، وشرائطَ شُرِطَتْ. فعَفَّى الآخِرُ الأوَّلَ[61].

وسوف نحاول - كتمثيلٍ- تبيينَ اضطرابهم في نهجهم من خلال نموذجٍ محدَّد، وهو لفظة: "**دين**" حيث قد ناقش مستشرقون فيما ناقشوا من المفاهيم والألفاظ والاصطلاحات العربية والإسلاميّة هذه اللفظةَ، وجنح كثيرٌ منهم إلى عُجمة الكلمة وأنّها مُعرَّبة؛ وأنَّ معانيها اللُّغويَّة مضطربة، بل نكاد نجزم بأنَّ المقصود من هذا الجنوح هو محاولة الإثبات بوقوع الاقتراض في الإسلام لفظاً ومعنًى، في الأصول وفي الفروع؛ وهو ما نُراه واضحاً مثلاً في قول أحدهم: « والحصيلة المقترضة من الإيرانية معروفةٌ في القرآن حتى في مجال الدّين؛ ويمكن الإشارة هنا إلى الأصل الإيراني لمفهومٍ محوريٍّ فقط مثل: "**دين**"»[62].

وقال برغشتراسر G.Bergsträsser عن الاقتراض من الفارسية: وكذلك "**دين**" في معنى الديانة. وأمَّا "**دين**" في معنى: الدينونة، فهي معرَّبةٌ من الآراميَّة؛ وأصلها في الأكديَّة: "denu"؛ ولعلَّ "**دين**" الفارسيَّة في معنى الديانة مأخوذةٌ من "denu" الأكديَّة بعينها، مع اختلاف معنييهما[63]. وذكر في الاقتراض من الأكديَّة: والكلمات الموجودة في اللغة الآراميَّة ثمَّ العربيَّة مهمَّةٌ جدًّا؛ نجد بينها بعض ما يوجد عند العرب، من أقدم عناصر الحضارة الشرقيَّة؛ منها: الدِّين، أي القضاءُ والحكمُ[64].

وفي دائرة المعارف الإسلاميّة كلامٌ بنحو ذلك، ننقله مختصراً شيئاً قليلاً، حيث قالوا[65]: «ذكر فقهاء اللّغة من العرب، في مادّة "**دين**" معاني مضطربةً، أساسُها كلماتٌ ثلاثٌ، قائمةٌ برأسها:

1/ كلمةٌ آراميةٌ عبريةٌ مستعارةٌ معناها: الحساب.

2/ كلمةٌ عربيةٌ خالصةٌ، معناها: عادةٌ، أو استعمال، تمُتُّ هي والكلمة الأولى إلى أصلٍ واحد...».

3/ كلمةٌ فارسية مستقلّة تمام الاستقلال، معناها ديانة.

(...) وقد عارض "قولرز" الرأي القائل بوجود كلمة عربية خالصةٍ، هي دين، وبيّن أنّ الكلمة الفارسية: "**دين**" بمعنى ديانة، كانت مستعملةً بالفعل في اللغة العربية أيّام الجاهلية، وذهب إلى أنّ المعنى" **عادة**" أو "**استعمال**" قد اشتُقَّ من هذه الكلمة ... وكان من الطّبيعي أن يؤدّي هذا الاضطراب، إلى وقوع مفسّري القرآن في مصاعب لا تنتهي؛ وشاهدُ ذلك أنّهم عندما تعرّضوا لتفسير آية: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: 4]:... غلَّبوا [وقد أحالوا على الطبري والرّازي، والبيضاوي] أنّ هذه الآية تحمل بالضرورة معنى الحساب، أو الجزاء؛ ولكنّهم حاروا حيرةً شديدةً في التماس ما يؤدّي بهم إلى هذا المعنى؛ على أنّنا يمكن أن نردَّ آيات القرآن جميعاً إلى معنىً، أو آخر من معاني هذه الكلمة الثلاثةِ التي ذكرناها آنفاً ...».

ولعلّ من أوّل ما نجيب به ما قاله أبو هلال العسكري في فروقه، قال: « والفُرس تزعم أنّ الدّين لفظٌ فارسيٌّ؛ وتحتجُّ بأنّهم يجدونه في كتبهم المؤلّفة قبل دخول العربية أرضهم بألف سنةٍ؛ ويذكرون أنّ لهم خطًّا يكتبون به كتابهم المنزل بزعمهم، يسمّى "**دين دوري**" أي كتابهم الذي سمّاه صاحبهم زرادشت. ونحن نجد للدّين أصلاً واشتقاقاً صحيحاً في العربية؛ وما كان كذلك لا نحكم عليه بأنّه أعجميٌّ. وإن صحَّ ما قالوه، فإنّ الدّين قد حصل في العربية والفارسية اسماً لشيءٍ واحدٍ على جهةِ الاتّفاق، وقد يكون على جهة الاتّفاق ما هو أعجب من هذا»[66].

وقال الراغب الأصفهاني في غريب القرآن في لفظة "**دينار**": وقيل أصله بالفارسية "**دين آر**" أي: "الشريعة جاءت به"[67]. ولكن نقل أحمد شاكر عن الأب أنستاس الكرملي - وهو حجَّة في كثيرٍ من اللُّغات[68]- في مجموعه الذي سمّاه "**النقود العربية**" أنَّ: «الدّينار: كلمة رومية، من "Denarius" وفسَّرَهَا بالنَّقد ذي العشرة آساتٍ»[69].

ثمّ إنَّ أوسع النّاس جمعاً للمعرَّبات، لم يذكر الدّين فيها، أعني أبا منصور الجواليقي[70]؛ يقول عبد الله دراز: «وهكذا يظهر لنا جليّاً أنّ هذه المادّة بكلّ معانيها، أصيلةٌ في اللغة العربية، وأنّ ما ظنّه بعض المستشرقين، من أنّها دخيلةٌ، معرّبةٌ عن العبرية أو الفارسية، في كلّ استعمالاتها، أو في أكثرها بعيدٌ كلّ البعد. ولعلّها نزعةٌ شعوبيةٌ تريدُ تجريد العربِ من كلّ فضيلةٍ، حتّى فضيلة البيان التي هي أعزُّ مفاخرهم» [71].

وأمَّا ادّعاؤهم اضطراب المفسّرين في التماس ما يؤدّي بهم إلى معنى الجزاء والحساب المقصود من قول الله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: 4]؛ فلا أثر له في كتب المفسّرين، وتحديدا في كتب الثلاثةِ الذين أحالوا عليهم: الطبري والرَّازي والبيضاوي.

فالأوّل قال بلا اضطرابٍ: والدِّين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال؛ ثمَّ استشهد بكلام العرب الدَّال على ذلك. ثمَّ قال: وللدِّين معانٍ في كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء سنذكرها في أماكنها إن شاء الله؛ ثمَّ ساق أقوال السلف من المفسِّرين المؤيّدة لما ساقه من تأويل الآية[72].

والثَّاني فسَّر اللَّفظة في أقلَّ من سطرٍ واحدٍ إذ قال: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: 4]؛ أي مالك يوم البعث والجزاء. وفي نحو ستَّة صفحات أفاض في توجيه القراءتين "**مَلِك**"، و"**مالك**"[73].

والثَّالثُ[74] فسَّر يوم الدِّين بيوم الجزاء في هذا الموضع؛ ورأى أنَّ من فسَّر في هذا الموضع الدِّين بالشَّريعة أو الطَّاعة يكون المعنى فيها حينئذٍ: يومُ جزاءِ الدِّين.

وهذا لا يعني منَّا أنَّنا ننكر تأثير الديانات بعضها في بعضٍ؛ ولكنَّنا نثبته في مستوى التعامل البشري، لا التنزيل الإلهي المعصوم، ولنا الأدلَّة في ذلك؛ وليس ههنا مكان بسطها ومناقشتها. نحن نرى تأثُّر المسلمين ببعض المظاهر الدِّينيَّة غير الإسلاميَّة عبر التَّاريخ الطويل لهم؛ وما كان تأثُّرًا فاسدًا فليس بحجَّةٍ على الإسلام، وإنَّما على المسلمين. وفي هذا المستوى أثَّر كذلك الإسلام وأهله في أهل الديانات التي عايشتهم؛ وهنا نذكر لذلك مثالًا؛ وهو أنَّ الرابي: "**سعديا الفيُّومي**" والرابي: "**صموئيل بن حفنى**" قد وضعا لتفاسيرهما أسسًا من القوانين المعجميَّة ومبادئ النحو، ومناهج التفسير العقلي. وقد ارتبط هذا التحوُّل بالأعمال التَّفسيريَّة للمسلمين، سواء من الناحية التَّاريخيَّة، أو من وجهة النظر الدِّينيَّة التي كان يشارك فيها المفكِّرون العرب والعلماء اليهود. والواقع فإنَّه في عصر الجاؤونيم السابقين الذي انتشر فيه الإنتاج التَّفسيريُّ توفَّر لدى العرب أدبٌ تفسيريٌّ كبيرٌ ومتشعِّبٌ، مؤسَّسٌ على قوانين النَّحو، وعلم البلاغة[75]. وقد بحث موشيه "مردخاي تسوكر" فيما بحث اصطلاحاتٍ مقترضةً من عند المفسِّرين المسلمين، بل وبعضها قرآنيٌّ مثل: " **المحكم والمتشابه**". فإذن تدرس المسائل في الجهات كلِّها، لا أن يوضع فقط الإسلام وأهله، ومنتَجُهُ على طاولة التشريح كالموتى.

المبحث الرابع: آثار المعرَّب في القرآن الكريم في إحداث التواصل الحضاري.

إنَّه ثمَّة آثار تواصليَّة حضاريَّة، سواءٌ قلنا بالمعرَّب في القرآن الكريم أم نفيناه؛ وهنا ننبِّه أنَّه لا ينبغي الاعتسافُ في إثبات شيءٍ ولا في نفيه؛ ولكن ننظر إلى ما يهدينا إليه الدليل. فاللغة العربية زمانَ التنزيل كان منها كلامٌ وقع إلى العرب من لغات شعوبٍ تواصل معهم العربُ عبر تاريخهم الطويل، كضرورةٍ حضاريَّة، وظاهرةٍ صحيَّة لم تخل منها لغةٌ، لا في القديم ولا في الحديث. ثمَّ عرَّبته العرب وفق آلياتٍ معيَّنة ليتناسب مع أوزانها ومعهودِهَا في الكلام؛ فصارت تلك الكلمات عربيَّةً ومن كلام العرب؛ ولا يُعدُّ النَّاطق بها أعجميًّا أبدًا. فلمَّا نزل القرآن العظيم نزل بلغة العرب ومنطقهم؛ سواء ما كان منه أصيلًا، أو ما كان أصلُهُ دخيلًا؛ وبذلك صار في القرآن الكريم إشاراتٌ

إلى ألسنٍ عديدة، من خلال تفاعل العرب مع شعوبٍ كثيرة؛ وبيانٌ عمليٌّ لآية تعدد الألسن واختلافها في الخلق. وأمَّا إرادة بيان فقر العربيَّة من خلال الاقتراض فهي محاولات بيِّنة التهافت. وأسوأُ من ذلك محاولات بيان فقر الإسلام من خلال القرآن الكريم للاصطلاحات والمفاهيم الدِّينيَّة الأصيلة؛ والذي ينتظم في سِلْكِ جهود فيلقٍ من المستشرقين يكمِّل بعضهُم جهود بعض في ذلك؛ وقد كان ذلك من خلال رسم صورة الاقتراض الدِّيني القرآني من المسيحيَّة أو اليهوديَّة من خلال الوعاء اللُّغوي الآرامي والسرياني وغيره من الأوعية. وممَّا غاب عن الأذهان - أو غُيِّب- أنَّ المعلوم من دين الإسلام أنَّ الصلاة كُتبت على الناس قبل الإسلام، وكُتب عليهم الصيام وكثيرٌ من الشرائع غيرهما. وتحدَّثت الأنبياء قبل النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن اليوم الآخر، وعن معتقداتٍ عديدة. فإذن ما حاولوا إثباته ربَّما كان يصدُقُ لو أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أعلمنا أنَّه أوَّل الأنبياء؛ أو أنَّ كلَّ ما جاء به لم يُسبق إليه. وعلى ذلك يكون ثمَّة تواصلٌ دينيٌّ وحضاريٌّ بين أمم الأنبياء فيما ظلَّ خالصًا من شوائب التحريف أو التبديل والتَّغيير؛ وهذا كذلك يحسب للقرآن الكريم، لا عليه.

وعلى أساسٍ من كلِّ ذلك نقول:

حقيقةً وبكلِّ بساطةٍ تعكس اللُّغةُ ثقافة المجتمع الذي يستخدمها، وتصوِّر بيئته، وتعبِّر عن أفكاره. والعلاقة بين مفردات اللغة خاصّة وثقافة المجتمع علاقةٌ ضرورية؛ ومن ثمَّ كان وجود الألفاظ الأجنبيَّة في لغة من اللغات دليلا على تأثير ثقافة هذا المجتمع في المجتمع الآخر؛ وكان تحديد مجالاتها الدلاليَّة مشيراً إلى مجالات هذا التَّأثير[76]. وإنَّ احتكاك اللُّغات - مثل احتكاك الشُّعوب- ضرورة تاريخيَّة؛ وكما تقترض الشُّعوب مظاهر الثقافة، وما قد يكون خلفها من قيمٍ وأحكامٍ، تقترض المفردات التي تشير إلى تلك المظاهر وتلك القيم والأحكام[77]. ولنتحدَّث عن الآثار كالآتي:

1/ إثبات قوَّةٍ حضاريّة للغة العربيّة.

إنَّ الاقتراض اللُّغوي كعمليَّةٍ حضاريَّة قد ابتدأ منذ القديم، وقبل الإسلام؛ فكان العرب يقتبسون من لغات الأمم الأخرى ألفاظاً، تطلق على أشياءَ حضاريَّةٍ لم تكن لدى العرب، فتسمي العربُ تلك الأشياء بأسمائها الأعجميَّة بعد تغييرها بما يجعلها مناسبةً للعربيَّة، كما يفعل العرب الآن في العصر الحاضر وفي كلِّ عصرٍ[78]. فالمعرَّب حقًّا هو ذلك الرصيد الضخم من الكلمات التي دخلت اللغة العربيَّة خلال العصور المتعاقبة؛ وتبعًا للحاجات الحضاريَّة التي دفعت المنتفعين بالعربيَّة في كلِّ عصرٍ إلى اقتباس مصطلحاتٍ حضاريَّة عامَّة، ومصطلحاتٍ علميَّةٍ وفكريَّة، وفنِّيَّةٍ خاصَّة من لغات الشعوب الأخرى؛ تبعًا لحاجات البيئة والعمليَّات العلميَّة[79].

وقد عدَّ باحثون اقتراضَ العربيَّة الكثير، وإقراضها غيرَها الكثير بأنَّه: أهمُّ ملامح اللُّغات الحيَّة الفاعلة[80]. ومن ثمَّ قيل: إنَّ نقاء اللغة لدليلٌ على فقرها (A pure language is a poor language). ولم تشذَّ اللغة العربيَّة عن مثيلاتها، فأخذت وأعطت؛ غير أنَّها زهدت في الأخذ، وأجزَلَتْ في العطاء[81].

والمعرَّب في الحضارة الإسلاميَّة كان من علامات القوَّة الحضاريَّة؛ إذ لم يُلجِئْها إليه الضعف؛ فإنَّ: من أهمِّ المزايا التي حفظت على العربيَّة شخصيَّتها بين أخواتها من اللُّغات الساميَّة - مع بعدها عن الشعوب الأعجميَّة- وُثُوقها بمقدرتها الذَّاتيَّة على التعبير؛ وعلى التمثُّلِ والتوليد؛ وعلى التخيُّر والانتقاء؛ وعلى الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثُّر؛ ليس بين اللهجات العربيَّة وحدها؛ وإنَّما بينها وبين اللُّغات التي اتَّصلت بها من هنا أو هناك[82].

ولكلِّ عصرٍ دخيلُه؛ فكان معظم الدخيل في العصر الجاهلي من اللُّغات: الفارسيَّة، والسريانيَّة، واليونانيَّة. وفي بعض العصور الإسلاميَّة كثرت الكلمات الدخيلة من اللُّغتين: التركيَّة والفارسيَّة. أمَّا عصرنا هذا، فجاء أكثرُ دخيلِهِ من اللغات الأوروبيَّة، كالإنجليزيَّة، والفرنسيَّة والإيطاليَّة؛ كما جاءت كلماتٌ من اللُّغة الأرديَّة، وبخاصَّةٍ في لهجات الخليج[83]. وليس كلُّ ما دخل في اللغة العربيَّة في عصرنا ممَّا تدعو إليه الحاجة؛ إنَّما دخل بعضُهُ تلبيَةً لرغبة نفوسٍ ضعيفةٍ في محاكاة من تراها المثل الأعلى في القول والعمل[84]. حيث نزل بساحة العربيَّة الضعف وبأمَّتها الوهن، ولذلك لم يعد المعرَّب والدخيل - والاصطلاح هنا بتجوُّزٍ- يصدر من قوَّةٍ بل في أحيانٍ كثيرةٍ عن ضعفٍ؛ وكما يقول ابن حزم: إنَّ اللُّغةَ يسقط أكثرُها، ويبطُلُ بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم؛ أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم؛ فإنَّما يقيِّد لغة الأمَّة، وعلومها، وأخبارَها، قوَّةُ دولتها، ونشاط أهلها، وفراغُهُم. وأمَّا من تلَفَتْ دولتُهُم، وغلب عليهم عدوُّهم؛ واشتغلوا بالخوف، والحاجة، والذلِّ، وخدمة أعدائهم، فمضمونٌ منهم موت خواطرهم. وربَّما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم، وأخبارهم، وبيود علومهم[85]. والذين يتعلَّقون اللغات الأجنبيَّة - بحسب كلمات الرافعي- ينزِعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلُّق إن لم تكن عصبيَّتُهم للغتهم قويَّةً مُستحكِمةً من قبل الدِّين أو القوميَّة- فتراهم إذا وهنت فيهم هذه العصبيَّةُ يخجلون من قوميَّتهم، ويتبرَّؤون من سلفهم، وينسلخون من تاريخهم؛ وتقوم بأنفسهم الكراهة للغتهم وآداب لغتِهم، ولقومهم، وأشياء قومهم[86].

2/ إثبات قوَّةٍ حضاريّة للقرآن الكريم ولغته وتعاليمه.

فإنَّ ورود كلمات تتوافق فيها لغة القرآن الكريم مع لغاتٍ أخرى فيه نوعٌ من التأليف بين أهل الألسن الكثيرة؛ وهو أشبه كذلك بالأثر الذي أحدثه نزول القرآن العظيم على سبعة أحرفٍ؛

تيسيرًا على القبائل العربيَّة المختلفة؛ وزيادة في البيان، وبحيث يتذوَّق الجميع بلاغته وحلاوتَه، لا قريشٌ وحدها. ومن ذلك كذلك المرونةُ في التطوُّر مع المعطيات التي تقتضي التطوُّر؛ وثمَّة كلامٌ رائع للطاهر بن عاشور، يقول فيه في آية فصِّلت: « فإنَّ الله لمَّا اصطفى الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم عربيًّا، وبعثه بين أمَّةٍ عربيَّةٍ، كان أحقُّ اللُّغات بأن ينزل بها كتابه إليه العربيَّة. إذ لو نزل كتابه بغير العربيَّة لاستوت لغات الأمم كلُّها في استحقاق نزول الكتاب بها؛ فأوقع ذلك تحاسدًا بينها؛ لأنَّ بينهم من سوابق الحوادث في التَّاريخ ما يثير الغيرةَ والتحاسدَ بينهم؛ بخلاف العرب إذ كانوا في عزلةٍ عن بقيَّة الأمم»[87].

وحدث تآلفٌ بين الحضارات؛ ومثال ذلك ما حدث بين العرب والفرس؛ حيث بعد الفتح الإسلامي لإيران[88]، بلغت الصلة بين العرب والفرس من القوَّة منتهاها؛ كما جعل هذا الخلاط بينهم يزداد على مرِّ الأيَّام؛ إلى أن تألَّفت من العرب والفرس أمَّةٌ واحدةٌ هي الأمَّة الإسلاميَّة[89].

3/ اجتماع المسلم وغير المسلم على بحث عناصر الحضارة الإسلاميّة.

والقرآن الكريم مركز الدراسات؛ فبتحدِّي القرآن الكريم ولغته للثقلين أن يأتوا بمثله؛ نشأت دراساتٌ كثيرةٌ حوله؛ بين مؤمنٍ بذلك، ومحاولٍ مناقشة عكس تلك الطروح؛ فنشأ إذن تواصلٌ بين ممدوحٍ ومذمومٍ.

4/ انطلاق اللغة العربية للعالميَّة.

حيث إنَّ اللُّغة العربيَّة ليست حكراً على العربيّ نسباً وحده؛ لأنَّها إرثٌ دينيٌّ، والإسلام من أوضح آياته أنَّه استطاع أن يوحِّد أمم الأرض على اختلاف أجناسها، وتباين أعراقها، وتفاوت ألوانها. ويشعر كلٌّ منهم أنَّ حضارة الإسلام حضارته؛ ولغة القرآن لغته، ولسان نبيِّه العربيّ لسانه. فبذلوا لهذه اللُّغة ما استطاعوا، فأصَّلوا نحوها، وجمعوا ألفاظها، وصنَّفوا معجمها؛ فجاءوا بأشياء قصَّر عنها أولئك المنحدرون من عرقٍ عربيّ[90]. والإسلام في انتشاره وتوسُّعه كان ذلك منه دون محاولة القضاء على الألسن الأخرى.

5/ التفاعل والتواصل الحضاري كان في الاتّجاهين: الإيجابي والسلبي.

فلا يمكن أن ننظر إلى الإيجابيَّات وحدها؛ ولا يمكن أن نلغي الاختلافات الدِّينيَّة والعقديَّة والمذهبيَّة؛ كما دلَّنا عليه صنيع كثيرٍ من المستشرقين وغيرِهم. وإنَّه يحدث بين اللُّغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحيَّة وجماعاتها، من احتكاكٍ، وصراعٍ، وتنازعٍ على البقاء، وسعيٍ وراء الغلب والسيطرة[91].

ومن مظاهر التفاعل السلبي من حيث آثاره؛ ما وقع في عصر النهضة من فوضى في التعريب؛ لا تراعي أبدًا خصائص العربيَّة، ولا تبحث في ثرائها اللغوي؛ والإشكال وقع في زمنٍ ضعفت فيه ألسنة الناطقين بالعربيَّة؛ مع شدَّة الحاجة لتوليد مفردات كثيرةٍ تغطِّي الانفجار الهائل في الكشوفات، وفي المخترعات، والمفاهيم كذلك.

يقول "**طوبيا العنيسي الحلبي**" في صدد فوضى التعريب: غير أنَّ الألفاظ العلميَّة الدَّخيلة، للمكتشفات الحديثة - وخاصَّةً للعناصر والأجسام، والمظاهر الطبيعيَّة- لا بأس من استعمالها، حتَّى يضع الأيمَّة كلمةً عربيَّةً تقوم مقامها. أمَّا استخدام أداةٍ دخيلةٍ في كلمةٍ عربيَّةٍ نحو عَجُزِ "**نمليك**" و"**قهوين**" فهي طريقةٌ ركيكةٌ؛ تدلُّ على من استعملها أنَّه ما وقع بيده قطُّ كتابٌ أورباويٌّ في علم الكيمياء، أو الطبيعيَّات. فأقول: "**ين**" غلطٌ، وصوابه "**يَّة**" نحو قهوين "قهويَّة" وهي تدلُّ على قوَّة الصِّيغة كلِّها. قال علماء العرب: النَّاريَّة، والمائيَّة، والنَّطرونيَّة، والبورقيَّة، ونحو ذلك. أمَّا الكاف في "**نمليك**" فهي صيغةُ النِّسبة في اليونانيَّة؛ مرادفها: "**ياء النِّسبة**" و"**صيغةُ المفعول**"، و"**ذو**"، و"**به**"، و"**فيه**". نحو "نمليك" غلطٌ، صوابه فيه، أو به نملٌ، أو نمليٌّ (مقدَّرٌ حامضٌ يُستخرج من النَّمل الأحمر)[92].

الخاتمة

في ختام هذه المقالة، نوجز جمع أهمِّ النتائج المستخلصة منه؛ وذلك في شكل نقاطٍ كالآتي:

- التواصل مقصدٌ من مقاصد الوجود الإنساني؛ يرد في القرآن العظيم بلفظ: "**لتعارفوا**"؛ ومعالم الاختلاف التي تسِمُ الاجتماع الإنساني يمكن توجيهها إلى المقاصد النبيلة التي خلقنا الله سبحانه وتعالى لأجلها؛ ومن ذلك اختلاف الألسنة بما تتضمَّنه من مميِّزاتٍ تختلف من لسانٍ إلى آخرَ؛ وحين يمكننا الإفادة من الدراسات المقارنة للُّغات بما يمكن أن يعمِّق من توظيف الآليات اللُّغويَّة، فإنَّنا نكون بذلك محقِّقين للتواصل الحضاري من طريق اللُّغة بأكمل صورةٍ.
- التَّعريب ليس بدعًا في الظواهر اللُّغويَّة؛ إذ تعرف اللُّغاتُ جميعًا الاقتراض، قديمًا وحديثًا؛ وهو ظاهرةٌ حضاريَّةٌ صحِّيَّة؛ تدلُّ على تفاعلٍ مثمرٍ بين الألسن بعضها مع بعضٍ من جهةٍ؛ وبين أهلها من جهةٍ أخرى. وإنَّما يَعرِضُ لها في ساحات الصراع الفِكرَوِي توظيفاتٌ تكون سلبيَّةً كلَّما قصد إليها موظِّفوها؛ إذ يمكن تطويع المسألة من أجل إثبات فقر لغةٍ معيَّنةٍ في المفردات، أو الأساليب؛ أو محاولة إثبات الضعف الفكري والحضاري؛ أو إثبات تخليطاتٍ في فكرٍ لغويٍّ ما، ونحوها من الأغراض.

- مسألة المعرَّب في القرآن الكريم ذات بعدين: بعدٍ لغويّ؛ وآخرَ عقدي. وأيَّة محاولةٍ لمعالجتها في أحد البعدين مع إغفال الآخر، ستكون محاولةً مشوّهة للحقيقة، ونتائجها ستكون جزئيَّةً ولا بدَّ. وقد أثَّرت الدراسات الاستشراقيَّة في منهجيَّة الدارسين المسلمين؛ وانفصل البحث فيها عن الدراسات القرآنيَّة بشكلٍ نسبيّ؛ وهو ما جعلها في جزءٍ منها تضعُفُ.
- ناقش مستشرقون - فيما ناقشوا- مسألة المعرَّب في محورين: محورٍ عامٍّ يتناول مطلق المعرَّب عند العرب، من زمان الجاهليَّة، إلى زمانهم؛ ومحورٍ آخرَ يتعلَّق بالمعرَّب في القرآن الكريم. ومؤلَّفاتهم تجمع عادةً المحورين جميعًا، سواءً عنونوا بهما، أو بأحدهما. وتقويمُ أعمالهم فيه يدخل ضمن تقويم أعمالهم بشكلٍ عامّ؛ والذي لا يجمع المسلمون على حكمٍ بحدِّ ذاته فيهم؛ ولكن اختلفوا: فمنهم المثني بإطلاق، ومنهم الساخط عليهم في دقيقِ أعمالهم وجلائله؛ ومنهم المتردّد، ومنهم المحاول للتوسُّط قدر الإمكان.
- في ظنّي أنَّ بحوث المستشرقين في مسألة المعرَّب في القرآن الكريم؛ تخضع للخلفيَّات الاعتقاديَّة والدِّينيَّة للمستشرقين؛ وكذا أصولهم المذهبيَّة الفكريَّة والمنهجيَّة التي سادت القرون التي اشتغلوا فيها بأعمالهم؛ وكذا أهدافهم التي يكون من الغلوّ في حقهم أن نصفها بالعلميَّة البحتة.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم المقاييس في اللغة**؛ ت شهاب الدّين أبو عمرو؛ دار الفكر: بيروت- لبنان.
- إسماعيل بن حمّاد الجوهري: **الصّحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط3، دار العلم للملايين: بيروت- لبنان، 1984م.
- أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده المُرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلميَّة: بيروت- لبنان، 2000م.
- مجد الدّين الفيروزآبادي: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**؛ المكتبة العلمية: بيروت- لبنان.
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزَّمخشريُّ: **أساس البلاغة**؛ تحقيق محمَّد باسل عيون السُّود، (ط1)، دار الكتب العلميَّة: بيروت- لبنان، 1998م.
- محمّد علي التهانوي: **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ت علي دحروج، ترجمة فارسية: عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية جورج زيناتي، إشراف ومراجعة: رفيق العجم؛ (ط1)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 1996م.

- أحمد بن محمَّد بن علي الفيُّومي المقرئ: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1987م.
- مجدي وهبه، كامل المهندس: **معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب**، ط2، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1984م.
- محمَّد الرازي فخر الدِّين: **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**؛ ط1، دار الفكر، 1981م.
- أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكَفَوِي: **الكلِّيَّات – معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة-** ، تحقيق عدنان درويش، ومحمَّد المصري، ط2، مؤسَّسة الرِّسالة: بيروت- لبنان، 1998م.
- طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني: **كتاب تفسير الألفاظ الدَّخيلة في اللُّغة العربيَّة مع ذكر أصلها بحروفه**، ط2، الفجالة- مصر، 1932م.
- علي بن محمَّد الشريف الجرجاني: **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1985م.
- ول وايرل ديورانت: **قصَّة الحضارة**؛ تحقيق محمَّد بدران؛ دار الجيل: بيروت- لبنان؛ المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم: تونس، 1998م.
- أبو الفتح عثمان بن جنّي: **الخصائص**؛ تحقيق محمَّد علي النجَّار؛ المكتبة العلميَّة: بيروت- لبنان.
- روبرت أوينس Robert Owens، JR: **مقدِّمة في التطوُّر اللُّغوي**؛ ترجمة مصطفى محمَّد قاسم، ط1، دار الفكر: عمَّان- الأردن، 2010م.
- برغشتراسر **G.Bergsträsser**: **التطوُّر النَّحوي للغة العربيَّة**، ترجمة رمضان عبد التوَّاب، ط2، مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر، 1994م.
- حسين مجيب المصري: **صلاتٌ بين العرب والفرس والترك –دراسة تاريخيَّة أدبيَّة-** ط1، الدار الثقافية للنَّشر: مص، 2001م.
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**؛ تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد: الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة.
- محمَّد أحمد العزب: **عن اللُّغة والأدب والنقد – رؤية تاريخيَّة ورؤية فنَّيَّة-** ، ط1، دار المعارف: القاهرة- مصر؛ 1980م، ص59.
- أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر: المملكة العربيَّة السعوديَّة.
- هاشم الطعان: **مساهمة العرب في دراسة اللُّغات الساميَّة**، دار الحريَّة: بغداد- العراق، 1978م.
- جلال الدين السيوطي: **المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها**؛ تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، محمَّد جاد المولى، وعلي محمَّد البجاوي؛ (ط1)، المكتبة العصريَّة: بيروت- لبنان، 2004م.
- أبو عبد الله محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: **كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتَّفسير**، تحقيق مروان العطيَّة، ومحسن خرابة، ط1، دار ابن كثيرٍ: دمشق- سوريا، 1990م.

- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: **الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوّض، ط1، مكتبة العبيكان: الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة، 1998م.
- محمود شكري الآلوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان.
- أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **تفسير غريب القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلميَّة: بيروت- لبنان، 1978م.
- محمَّد بن علي بن محمَّد الشَوكاني: **فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدِّراية من علم التفسير**، ط4، باعتناء يوسف الغوش، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدِّمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، ط1، دار ابن حزم: بيروت- لبنان، 2000م.
- ف. عبد الرحيم: **معجم الدخيل في اللغة العربيَّة الحديثة ولهجاتها**، ط1، دار القلم: دمشق- سوريا، 2011م.
- إبراهيم السامرائي: **فوات ما فات من المعرَّب والدخيل**؛ حوليَّة كليَّة الإنسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة قطر، العدد الثامن عشر، 1995م.
- علي فهمي خشيم: **هل في القرآن أعجميٌّ – نظرةٌ جديدة إلى موضوعٍ قديمٍ-** ؛ ط1، دار الشرق الأوسط: بيروت- لبنان، 1997م.
- **دائرة المعارف الإسلامية** (دط)، يصدرها باللّغة العربية: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس.
- أبو هلال العسكري: **الفروق اللّغوية**؛ ت حسام الدّين القُدْسِي، دار زاهد القدسي.
- أبو القاسم الحسين بن محمَّد الرّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن؛ ت محمَّد خليل عيتاني، ط1؛ دار المعرفة: بيروت- لبنان، 1998م.
- الأب أنستاس الكرملي: **أديان العرب وخرافاتهم**، تحقيق وليد محمود خالص؛ ط1، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنَّشر: بيروت- لبنان؛ دار الفارس: الأردن، 2005م.
- أبو منصور الجواليقي: **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد شاكر، ط2، مطبعة دار الكتب، (دب)، 1969م.
- أبو الخير ناصر الدّين عبد الله بن عمر الشَّيرازي البيضاوي (بهامش القرآن الكريم) (دط)، دار الفكر (دب)، 1982م.
- عصام فاروق: **المستشرقون وتأثُّرهم بالفكر اللُّغوي الغربي في دراسة العربيَّة – المدخل والمظاهر والآثار**؛ من أبحاث مؤتمر: « **الدراسات العربيَّة في عالمٍ متغيّرٍ**» بكليَّة الألسن: جامعة عين شمس، بتاريخ 26 نوفمبر 2013م.

- عبد الحسن عباس حسن محمَّد عبد الزهرة غافل الشريفي: **العربيَّة في ضوء المنهج المقارن – دراسات المستشرقين الألمان أنموذجًا-** ؛ مجلَّة اللُّغة العربيَّة وآدابها، العدد الثاني عشرة، جامعة الكوفة.
- لويس جان كالفي **Louis- Jean Calvet: حرب اللُّغات، والسياسات اللُّغويَّة**؛ ترجمة حسن حمزة، ط1، المنظمة العربيَّة للترجمة: بيروت- لبنان، 2008م.
- إسرائيل ولفنسون: **تاريخ اللغات الساميَّة**، ط1، مطبعة الاعتماد: مصر، 1929م.
- أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: **الإحكام في أصول الأحكام**، دار الآفاق الجديدة: بيروت- لبنان.
- محمَّد حسن عبد العزيز: **التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة**؛ (دط) دار الفكر العربي: القاهرة- مصر.
- محمّد عبد الله دراز: **الدّين**، (دط)، دار القلم: الكويت 1980م.
- أحمد محمَّد الحوفي: **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ط3، دار نهضة مصر: القاهرة- مصر.
- موشيه مردخاي تسوكر: **التأثير الإسلامي في التفاسير اليهوديَّة الوسيطة (من مقدِّمة كتاب: تفاسير الرابي سعديا جاؤون لسفر التكوين)**؛ ترجمة أحمد محمود هويدي، مركز الدراسات الشرقيَّة: القاهرة- مصر، 2003م.
- هنري س. عبُّودي: **معجم الحضارات الساميَّة**، ط2، جروس برس: طرابلس- لبنان، 1991م.
- أنطوان عبدو: **مصطلح المعجميَّة العربيَّة**، ط1، الشركة العالميَّة للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقيَّة: بيروت- لبنان، 1991م.
- مصطفى صادق الرافعي: **وحي القلم**؛ مراجعة واعتناء درويش الجويدي؛ ط، المكتبة العصريَّة: صيدا، بيروت- لبنان.
- **رسالتان في المعرَّب** لابن كمال باشا أحمد بن سليمان، ومحمَّد بن بدر الدّين المنشي، ت سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى.
- شاهين مكاريوس: **تاريخ إيران**، (دط)، دار الآفاق العربيَّة، 2003م.
- EOLE (**Education et ouverture aux langues à l'école**): Quelle langue parlons nous donc ? Annexe documentaire 18, 2003, p1 ; sur l'adresse web qui suit: http: //eole.irdp.ch/activites_eole/annexes_doc/annexe_doc_18.pdf

الهوامش:

1- EOLE (**Education et ouverture aux langues à l'école**): Quelle langue parlons nous donc ? Annexe documentaire 18, 2003, p1 ; sur l'adresse web qui suit: http://eole.irdp.ch/activites_eole/annexes_doc/annexe_doc_18.pdf

2- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم المقاييس في اللغة**؛ تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو؛ دار الفكر: بيروت- لبنان، ص766. إسماعيل بن حمّاد الجوهري: **الصّحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط3، دار العلم للملايين:

بيروت– لبنان، 1984م، (178/1– 179). أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده المُرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلميَّة: بيروت– لبنان، 2000م، (126/2– 127). مجد الدّين الفيروزآبادي: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**؛ المكتبة العلمية: بيروت– لبنان، (38/4). أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزَّمخشريُّ: **أساس البلاغة**؛ تحقيق محمَّد باسل عيون السُّود، (ط1)، دار الكتب العلميَّة: بيروت– لبنان، 1998م، (641/1). محمّد علي التهانوي: **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ت علي دحروج، ترجمة فارسية: عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية جورج زيناتي، إشراف ومراجعة: رفيق العجم؛ (ط1)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، 1996م، (1582/2).

3– جلال الدين السيوطي: **المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها**؛ تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، محمَّد جاد المولى، وعلي محمَّد البجاوي؛ (ط1)، المكتبة العصريَّة: بيروت– لبنان، 2004م؛ ص 219.

4– **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مرجع سابق، (1582/2).

5– انظُر: أحمد بن محمَّد بن علي الفيُّومي المقرئ: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان: بيروت– لبنان، 1987م، ص152.

6– مجدي وهبه، كامل المهندس: **معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب**، ط2، مكتبة لبنان: بيروت– لبنان، 1984م، ص319.

7– **الصّحاح**، مصدر سابق، (179/1).

8– **المحكم والمحيط الأعظم**، (341/1). **معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب**، مرجع سابق، ص245. محمَّد الرازي فخر الدِّين: **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**؛ ط1، دار الفكر، 1981م، (20/ 119– 120)؛ و**المصباح المنير**، ص150. وأبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكَفَوِي: **الكلِّيَّات – معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة**– ، تحقيق عدنان درويش، ومحمَّد المصري، ط2، مؤسَّسة الرِّسالة: بيروت– لبنان، 1998م، ص143.

9– **الكلِّيَّات – معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة**– ، ص449. **أساس البلاغة**، (281/1). و**معجم المقاييس في اللغة**، ص 378.

10– **الكلِّيَّات – معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة**– ، مرجع سابق، ص439.

11– طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني: **كتاب تفسير الألفاظ الدَّخيلة في اللُّغة العربيَّة مع ذكر أصلها بحروفه**، ط2، الفجالة– مصر، 1932م، ص "ب" من المقدِّمة.

12– **معجم المقاييس في اللغة**: مصدر سابق، ص 881.

13– Quelle langue parlons nous donc ? Annexe documentaire 18, op. cit, p1.

14– **معجم المقاييس في اللغة**؛ مصدر سابق، ص1094.

15– علي بن محمَّد الشريف الجرجاني: **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان: بيروت– لبنان، 1985م، ص273.

16– ول وايرل ديورانت: **قصَّة الحضارة**؛ تحقيق محمَّد بدران؛ دار الجيل: بيروت– لبنان؛ المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم: تونس، 1998م، (1/ 8).

17– أبو الفتح عثمان بن جنِّي: **الخصائص**؛ تحقيق محمَّد علي النجَّار؛ المكتبة العلميَّة: بيروت– لبنان، (33/1).

18– روبرت أوينسRobert Owens, JR: **مقدّمة في التطوُّر اللُّغوي**؛ ترجمة مصطفى محمَّد قاسم، ط1، دار الفكر: عمَّان– الأردن، 2010م، ص 40. (ناقلًا عن Committe in Language, 1983)

19– المرجع نفسه، ص 36.

20– المرجع نفسه، ص 37.

21- المرجع نفسه، ص 40. (ناقلًا عن Committe in Language, 1983)

22- برغشتراسر **G.Bergsträsser: التطوُّر النَّحوي للغة العربيَّة**، ترجمة رمضان عبد التوَّاب، ط2، مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر، 1994م، ص 207.

23- انظر في تفضيل العرب والعربيَّة، ومجموع الأدلَّة في ذلك: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**؛ تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد: الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة، (366/1- 405). مع ملاحظة أنَّه لا بدَّ من قراءة المسألة من أوَّلها إلى آخرها في كلامه؛ حيث حين نجتزئ من كلامه بعضه، قد نحكم من خلال ذلك الجزء أن ثمَّة تعصبًا في كلامه، والله أعلم.

24- أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: **الإحكام في أصول الأحكام**، دار الآفاق الجديدة: بيروت- لبنان، (33/1).

25- أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر: المملكة العربيَّة السعوديَّة، (13/1).

26- **المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها**؛ مرجع سابق، ص 217.

27- هاشم الطعان: **مساهمة العرب في دراسة اللُّغات الساميَّة**، دار الحريَّة: بغداد- العراق، 1978م، ص45.

28- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، (18/1- 19).

29- **مساهمة العرب في دراسة اللُّغات الساميَّة**، مرجع سابق، ص45.

30- **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مرجع سابق، (1582/2).

31- **المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها**؛ مرجع سابق؛ ص 219.

32- والهمزة همزة الإنكار، يعني: لأنكروا وقالوا... والواو في قوله: ﴿وَعَرَبِيٌّ﴾ للعطف بمعنى المعيَّة؛ والمعنى: وكيف يلتقي أعجميٌّ وعربيٌّ؟ انظر كل ما سبق من التفسير عند: أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **تفسير غريب القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلميَّة: بيروت- لبنان، 1978م، ص389- 390؛ محمَّد بن علي بن محمَّد الشَوكاني: **فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدِّراية من علم التفسير**، ط4، باعتناء يوسف الغوش، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م، ص1318؛ محمود شكري الآلوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان، (314/24). أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدِّمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، ط1، دار ابن حزم: بيروت- لبنان، 2000م، ص1660. **المحكم والمحيط الأعظم**، (342/1). جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: **الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمَّد معوَّض، ط1، مكتبة العبيكان: الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة، 1998م، (386/5).

33- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**؛ مصدر سابق، (127/12).

34- قال المحقِّقان: لم نجد هذا الحديث بهذا اللَّفظ في مراجعنا؛ ويبدو أنَّ ابن قتيبة رواه بالمعنى؛ وأصله: « **أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي**». انظر المقاصد الحسنة للسخاوي، ص73- 74.

35- أبو عبد الله محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: **كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتَّفسير**، تحقيق مروان العطيَّة، ومحسن خرابة، ط1، دار ابن كثيرٍ: دمشق- سوريا، 1990م، ص48.

36- علي فهمي خشيم: **هل في القرآن أعجميٌّ – نظرةٌ جديدة إلى موضوعٍ قديمٍ**- ؛ ط1، دار الشرق الأوسط: بيروت- لبنان، 1997م، ص20.

37- **مساهمة العرب في دراسة اللُّغات الساميَّة**، مرجع سابق، ص9.

38- يقول **إسرائيل ولفنسون:** « وقد عُنيتُ بالبحث في نشأة اللغة العربيَّة، ووصلت فيه إلى نتائج هي ثمرةُ جهودي الشَّخصيَّة. إذ كانت بحوث المستشرقين في نشأة اللغة العربيَّة ناقصةً وموجزَةً، بل وغامضةً. في حين كانت بحوثهم في أغلب اللُّغات الساميَّة وافيةً؛ لا سيَّما في العبريَّة؛ فلهم فيها أبحاثٌ جليلةٌ». ألا يجعلنا ذلك نرتاب في جهودهم؟ إسرائيل ولفنسون: **تاريخ اللغات الساميَّة**، ط1، مطبعة الاعتماد: مصر، 1929م، ص و.

39- عصام فاروق: **المستشرقون وتأثُّرهم بالفكر اللُّغوي الغربي في دراسة العربيَّة – المدخل والمظاهر والآثار**- ؛ من أبحاث مؤتمر: « **الدراسات العربيَّة في عالمٍ متغيِّرٍ**» بكليَّة الألسن: جامعة عين شمس، بتاريخ 26 نوفمبر 2013م، ص6. ناقلًا عن كتاب: الاحتجاج بالشعر في اللُّغة، ص17.

40- **المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها**؛ مرجع سابق، ص 220.

41- **هل في القرآن أعجميٌّ – نظرةٌ جديدة إلى موضوعٍ قديمٍ**- ؛ ط1، دار الشرق الأوسط: بيروت- لبنان، 1997م، ص13.

42- علي فهمي خشيم: **هل في القرآن أعجميٌّ – نظرةٌ جديدة إلى موضوعٍ قديمٍ**- ؛ مرجع سابق، ص13.

43- إبراهيم السامرائي: **فوات ما فات من المعرَّب والدخيل**؛ حوليَّة كليَّة الإنسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة قطر، العدد الثامن عشر، 1995م، ص11- 12.

44- عبد الحسن عباس حسن محمَّد عبد الزهرة غافل الشريفي: **العربيَّة في ضوء المنهج المقارن – دراسات المستشرقين الألمان أنموذجًا**- ؛ مجلَّة اللُّغة العربيَّة وآدابها، العدد الثاني عشرة، جامعة الكوفة، ص183. ناقلًا عن تاريخ اللُّغات الساميَّة لإسرائيل ولفنسون، ص189؛ والتطوُّر النحوي لبرجشتريسر، ص 52.

45- **فوات ما فات من المعرَّب والدخيل**؛ مرجع سابق، ص9.

46- المرجع نفسه، ص10.

47- **هل في القرآن أعجميٌّ – نظرةٌ جديدة إلى موضوعٍ قديمٍ**- ؛ مرجع سابق، ص174.

48- محمَّد حسن عبد العزيز: **التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة**؛ (دط) دار الفكر العربي: القاهرة- مصر، ص 304.

49- **الإحكام في أصول الأحكام**، مرجع سابق، (31/1- 32).

50- **مساهمة العرب في دراسة اللُّغات الساميَّة**، مرجع سابق، ص45.

51- لويس جان كالفي**Louis- Jean Calvet**: **حرب اللُّغات، والسياسات اللُّغويَّة**؛ ترجمة حسن حمزة، ط1، المنظمة العربيَّة للترجمة: بيروت- لبنان، 2008م، ص69.

52- مرجع سابق، ص70. وأحال في الهامش على رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة؛ لـ: "**عبد الله بونفور**" بإشراف: "**رولان بارت**" (**Théories et méthodologies des grandes écoles de rhéthorique arabe**).

53- أ.د. قولفديتريش فيشر: **الأساس في فقه اللُّغة العربيَّة**، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسَّسة المختار: القاهرة- مصر، 2002م، ص32. (الكتاب عبارة عن توحيد جهود مجموعة من المستشرقين، وهذه الإحالة من مقالة "أنطون شال" بعنوان: « الثروة اللغوية العربية»). والمقال لـ **أنطون شال**.

54- **الإحكام في أصول الأحكام**، مرجع سابق، (33/1).

55- **الأساس في فقه اللُّغة العربيَّة**، مرجع سابق، ص37.

56- **التطوُّر النَّحوي للغة العربيَّة**، مرجع سابق، ص 217. و**الأساس في فقه اللُّغة العربيَّة**، مرجع سابق، ص37- 38.

57- الآراميَّةُ: لغةٌ ساميَّةٌ شديدةُ القرابة من الفينيقيَّة، والعبريَّة؛ تحتوي على بعض خواصِّ اللُّغة العربيَّة ؛ انظر: هنري س. عبُّودي: **معجم الحضارات الساميَّة**، ط2، جروس برس: طرابلس- لبنان، 1991م، ص18.

58- **التطوُّر النَّحوي للغة العربيَّة**، مرجع سابق، ص 221.

59- المرجع نفسه، ص 218- 219.

60- المرجع نفسه، ص 224.

61- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا: **الصاحبي في فقه اللغة العربيَّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**؛ تحقيق أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلميَّة: بيروت- لبنان، 1997م، ص44.

62- **الأساس في فقه اللغة العربية**؛ مرجع سابق، ص37.

63- **التطوُّر النَّحوي للغة العربيَّة**، مرجع سابق، ص 214.

64- المرجع نفسه، ص 226.

65- **دائرة المعارف الإسلامية** (دط)، يصدرها باللّغة العربية: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، (دت)، (دب)، (368/9).

66- أبو هلال العسكري: **الفروق اللّغوية**؛ تحقيق حسام الدّين القُدْسِي، (دط)، دار زاهد القدسي، (دب)، ص181، 182.

67- في مفردة: "**دنر**" أبو القاسم الحسين بن محمَّد الرّاغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**؛ ت محمَّد خليل عيتاني، (ط1)؛ دار المعرفة: بيروت- لبنان، 1998م، ص179.

68- أتقن أربع لغاتٍ إتقاناً تامًّا هي: العربيَّة والفرنسيَّة واللاَّتينيَّة واليونانيَّة. وألمَّ بطرفٍ واسعٍ من تسع لغاتٍ أخرى هي: السُريانيَّة والعبريَّة والحبشيَّة والإيطاليَّة والإسبانيَّة والإنكليزيَّة والفارسيَّة والتُّركيَّة والصَّابئيَّة؛ واسمه الحقيقي: "بطرس جبرائيل يوسف عوَّاد" أبوه لبناني وأمُّه بغداديَّة. ولد ببغداد سنة 1866وتوُفِيَّ في سنة 1947م. رسِّم قسّيساً في سنة 1894م باسم: "أنستاس ماري الكرملي" وهو الاسم الذي سيلازمه حتَّى وفاته. انظر الترجمة له في مقدِّمة المحقق لكتاب الأب أنستاس الكرملي: **أديان العرب وخرافاتهم**، تحقيق وليد محمود خالص؛ ط1، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنَّشر: بيروت- لبنان؛ دار الفارس: الأردن، 2005م، ص15- 31.

69- في الحاشية "رقم1 ص25: أبو منصور الجواليقي: **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد شاكر، ط2، مطبعة دار الكتب، (دب)، 1969، هامش ص187.

70- **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، مرجع سابق؛ باب الدّال من ص186 إلى ص204. قال الأستاذ عبد الوهّاب عزّام في تقديمه للكتاب واصفاً إسراف الجواليقي في الوصف بالعجمة ص3: «ويؤخذ على المؤلّف، وكثير ممّن تكلّموا في الألفاظ المعرّبة (...) المسارعة إلى دعوى العجمة في ألفاظٍ لا يستبين الدّليل على عجمتها، وكأنّهم حسبوا أنّ وقوع لفظٍ في العربية وغيرها، أو مقاربة لفظٍ عربيٍّ للفظ أعجميٍّ في بنيته ومعناه، يكفي في الدّلالة على أنّ العربية نقلت عن غيرها هذا اللّفظ الموافق، أو ذاك اللفظ المشابه. وهذه سبيلٌ يكثر فيها الغلطُ، ويلتبس على غير المتثبّث فيها الخطأ والصّواب».

71- محمّد عبد الله دراز: **الدّين**، (دط)، دار القلم: الكويت 1980، ص32.

72- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (دط)، مرجع سابق، (68/1).

73- **التَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، مرجع سابق؛ (240/1- 246).

74) أبو الخير ناصر الدّين عبد الله بن عمر الشّيرازي البيضاوي: **تفسير البيضاوي** (بهامش القرآن الكريم)، (دط)، دار الفكر (دب)، 1982م، ص4.

75- موشيه مردخاي تسوكر: **التأثير الإسلامي في التفاسير اليهوديَّة الوسيطة (من مقدّمة كتاب: تفاسير الرابي سعديا جاؤون لسفر التكوين)**؛ ترجمة أحمد محمود هويدي، مركز الدراسات الشرقيَّة: القاهرة- مصر، 2003م، ص43.

76- **التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة**؛ مرجع سابق، ص 303.

77- المرجع نفسه، ص 9.

78- **رسالتان في المعرَّب** لابن كمال باشا أحمد بن سليمان، ومحمَّد بن بدر الدِّين المنشي، ت سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، ص27.

79- أنطوان عبدو: **مصطلح المعجميَّة العربيَّة**، ط1، الشركة العالميَّة للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقيَّة: بيروت- لبنان، 1991م، ص278.

80- محمَّد أحمد العزب: **عن اللُّغة والأدب والنقد – رؤيـة تاريخيَّـة ورؤيـة فنِّيَّـة-** ، ط1، دار المعارف: القاهرة- مصر؛ 1980م، ص59.

81- ف. عبد الرحيم: **معجم الدخيل في اللغة العربيَّة الحديثة ولهجاتها**، ط1، دار القلم: دمشق- سوريا، 2011م، ص7.

82- **عن اللُّغة والأدب والنقد – رؤية تاريخيَّة ورؤية فنِّيَّة-** ، مرجع سابق، ص59.

83- **معجم الدخيل في اللغة العربيَّة الحديثة ولهجاتها**، ط1، مرجع سابق، ص7.

84- المرجع نفسه، ص9.

85- **الإحكام في أصول الأحكام**، مرجع سابق، (32/1).

86- مصطفى صادق الرافعي: **وحي القلم**؛ مراجعة واعتناء درويش الجويدي؛ ط، المكتبة العصريَّة: صيدا، بيروت- لبنان، (3/ 29).

87- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، مرجع سابق، (313/24).

88- إيران بلادٌ قديمة في تمدُّنها وتاريخها يغلب عليها اليوم بين كتَّاب الافرنج اسم فارس؛ مع أنَّ اسمها إيران من أقدم الأزمان. وأمَّا فارس أو فرس، فاسم ولايةٍ من ولاياتها الأولى.. ويسمِّيها العرب بلاد العجم.. وكانت هذه السلطنة في أيَّام عزِّها السابق واسعة الأطراف يحدُّها من الشمال بحر الخزر، وجبال قاف، ومن الشَّرق نهر جيجون (أوكسوس)، وحدود الهند، ومن الجنوب خليج العجم، وخليج عمان، ومن الغرب نهر الفرات ... غير أنَّ حدودها تغيَّرت مراراً وتكراراً بتغيُّر الدول عليها، فاتَّسعت وضاقت .. حتَّى صارت إلى حالتها الحاضرة. انظر: شاهين مكاريوس: **تاريخ إيران**، (دط)، دار الآفاق العربيَّة، 2003م؛ ص1.

89- حسين مجيب المصري: **صلاتٌ بين العرب والفرس والترك -دراسة تاريخيَّة أدبيَّة-** ط1، الدار الثقافية للنَّشر: مص، 2001م، ص49.

90- **رسالتان في المعرَّب** مرجع سابق، ص3.

91- علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**؛ ط9، دار نهضة مصر: القاهرة- مصر، 2004م، ص229.

92- **كتاب تفسير الألفاظ الدَّخيلة في اللُّغة العربيَّة مع ذكر أصلها بحروفه**، مرجع سابق، ص "ب" من المقدِّمة.